وزارة التعليـــــم العـــــالي والبحـــــث العلمي

جـــــامعة محمـــد خيضـــر ــ بسكـــرة ــ

كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ــ قطب شتمـــة ــ

قسم العلـــوم الإنسانيـــة

شعبـــة التاريـــخ

محمـــد عبـــده ومواقفـــه مـــن قضـــايا عصـــره (1849 – 1905 م)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تخصص التاريخ المعاصر

إعـداد الطـالب :

عيســى مهنـــي

إشـراف الأستـاذ :

حاجـــي فاتـــح

السنة الجامعية :

1435 هـ ، 2014 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من يعرفني
وساعدني في إنجاز هذا العمل المتواضع .

كما لا أنسى كل الأهل والأقارب وإلى الوالدين الكريمين
أطال الله في عمرهما ، وإلى الإخوة والأخوات .

وإلى كل الأصدقاء والزملاء ، وإلى الأستاذ المؤطر " حاجي فاتح "
على المجهود الجبار الذي قدّمه لي في سبيل إنجاز هذا العمل .

وإلى البراعم : كوثر، آلاء ، زكرياء
أطال الله في أعمارهم وحفظهم من كل مكروه .

عيسى مهني

كلمة شكر

أشكر الله العلي القدير الذي أنار لي درب العلم والمعرفة
ويسر لي أداء هذا العمل المتواضع ونسأله النجاح المتواصل لنا
ولجميع من اتخذ من العلم سلاحا .

نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدنا على إنجاز هذا العمل المتواضع
خاصة الأستاذ المشرف حاجي فاتح الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته
ونصائحه القيمة طيلة إنجاز هذا العمل .

إلى كل من علمنا حرفا طيلة مشوارنا الدراسي ،
وساهم في تعليمنا أصول الحياة .

شكرا جزيلا

عيسى مهني

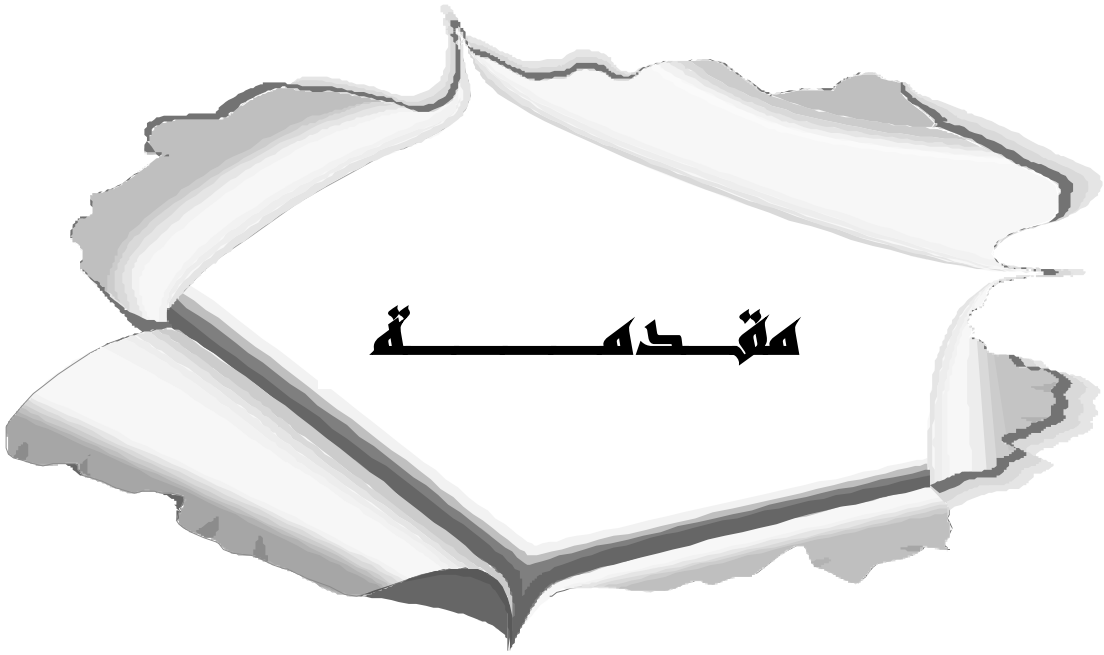
مقـــدمـــــــة

مرّت مصر بظروف تاريخية صعبة خلال فترة الإستعمار الإنجليزي جعلها تتأخر عن مواكبة الركب في مختلف الميادين والأصعدة والمجالات ، ممّا ترك آثارا قاسية ، سلبية ومؤلمة راح ضحيتها الفرد والمجتمع كليهما ، هذه الآثار التي عانى منها الشعب المصري على الصعيدين المادي والمعنوي ، ولا زال يعاني منها حتى في وقتنا الحاضر.

وبطبيعة الحال في كل بلاد أو زمان رجال ينهضون من واقع متعفن لازمين على أنفسهم وحاملين على عاتقهم لواء الإصلاح ، وإيقاظ المجتمعات من سباتها الذي دام طويلا ، متطلعين إلى مُثل عليا وقيم خالدة ، وطامحين إلى آت أفضل .

ومن بين رجالات مصر الذين حملوا هذا اللواء نذكر: عبد الرحمان الكواكبي ، رفاعة الطهطاوي ، علي مبارك ، عبد الله النديم ، أحمد عرابي ، قاسم أمين ، محمود سامي البارودي ، المويلحي ، جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده ... ، هذا الأخير هو موضوع دراستي ، حيث كانت دراسة شخصيته من أهمّ الموضوعات التي تتطلب الدقّة والموضوعية في المعطيات المعرفية لطبيعة أعمال ومسيرة هذه الشخصية ، لاسيما مبادئه ومحطّات مواقفه التي تعتبر من أهمّ المؤثّرات في الحركة التاريخية في أيّ مجتمع من المجتمعات .

وبدوره عانى محمد عبده كما عانى الشعب المصري في أواخر حكم الخديوي إسماعيل من سوء الأحوال المالية والاقتصادية ، حيث بلغت ديون مصر في نهاية عهده واحد وتسعون مليون جنيها ، ممّا أدى إلى التدخل الأجنبي في شؤون مصر الداخلية ، وقاسى الشعب المصري من الاستبداد الداخلي الذي وضع مقاليد الحكم في يد الشراكسة ، وحوّل المصري في وطنه إلى مواطن من الدرجة الثانية لا يستطيع التصدي للزحف الأجنبي والنهوض بالبلاد كي تدخل فعلا عصر النهضة والتقدّم ، وكان ذلك ثمرة طبيعية للحكم الاستبدادي الجاهل الذي ران عليها قرابة نصف قرن تحت ظلّ سياسة التتريك الملكية ، ونتيجة لذلك انبعثت في مصر اتجاهات إصلاحية كانت تهدف إلى الارتقاء بالبلاد وتجديد حياتها وتحرير طاقتها ، غير أنّها اختلفت في سبيل تحقيق هذا الهدف ، ومن بين هذه الاتجاهات الاتجاه الإصلاحي الذي تزعّمه محمد عبده الذي رأى أنّ النهوض بالأمّة يجب أن

يتمّ بأساليب التربية والإصلاح الإجتماعي بدلا من طريق الثورة والنضال المسلح ، وأنّه ينبغي تثقيف الشعب وتنويره قبل أن يطالب بالدستور.

أمّا اختياري لدراسة شخصية محمد عبده فلأنّه لعب دورا بارزا في مجال الإصلاح وارتقاء الفكر العربي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولقد حاولت في هذه الرسالة الوقوف عند كلّ حركة أو مبدأ أو منهج اتبعه محمد عبده في مسيرته النضالية في مصر وخارجها منذ ولادته سنة 1849 م إلى تاريخ وفاته في 11 جويلية 1905 م ، لأنّ حياته كانت كلّها نضالا وجهادا حقيقيا .

وفي هذه الأطوار المختلفة في مسيرة محمد عبده يجد الباحث أعمالا ومواقف ، آراء ونظريات على مستوى الإصلاح الديني أو على صعيد التجديد الإجتماعي أو في مجال ترسيخ مبادئ الدين الإسلامي والإفتاء بما يوافق الشريعة الإسلامية ومتطلبات العصر، وليس حسب الحاكم ، أو في مجال الحفاظ على اللغة العربية وإعادتها إلى مكانها الطبيعي في المجتمع المصري .

أمّا فيما يخصّ دراسة الأعلام وتتبع جهودهم فلها أهمية كبرى في الحفاظ على رصيدهم النضالي وأعمالهم الدؤوبة لنصرة الحقّ وردّ الظلم لكي تقتفي الأجيال اللاحقة آثارهم ، ولكي لا تضيع الأعمال التي ناضل وكدّ من أجلها أولئك العظماء من أمتنا الذين يعتبرون المنارات المضيئة التي يحاول البعض إطفاءها ، ومن تلك الشخصيات المضيئة محمد عبده الذي تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعالج شخصيته التي لها إسهاماتها الكبيرة في الحركة الإصلاحية التجديدية ، والتصدي لمروجي البدع والخرافات ، كما كان لها بالغ الأثر في التمهيد للأفكار الثورية عن طريق التربية والتعليم ، وذلك بإزالة الإستعمار الإنجليزي من العقول أولا ، ثمّ مواجهته على أرض الواقع ثانيا .

ومن جملة الأسباب التي جعلتني أفضّل البحث في هذا الموضوع ما يأتي :

- التعلق والميول الشخصي لدراسة شخصية محمد عبده والكشف عن خباياها وفكرها الإصلاحي ، والوصول بالطالب إلى معرفة كلّ ما يخصّها وإطلاق الحكم الملائم لها .
- أهمّية موضوع الدراسة وارتباطه بقضايا الإصلاح في العالم الإسلامي .
- معرفة أوضاع مصر أثناء بروزه وظهوره .
- جهاده بفكره وقلمه لتحقيق المساواة والحرّية والنهوض بتعاليم الدين لغرض مواجهة الأعداء .
- الرغبة الملحّة في تسليط الضوء على الأساليب والطرق التي انتهجها محمد عبده لتجسيد جهوده الإصلاحية في العالم الإسلامي .
- أهمّية موضوع الدراسة وارتباطه بقضايا الإصلاح في العالم الإسلامي .

وتتمثّل إشكالية هذا الموضوع في دراسة عَلَم من أعلام الإصلاح في العالم الإسلامي ومدى مساهمته في إثراء وتطوير الفكر الإسلامي الإصلاحي ، والخروج به من وهم الخرافات والمعتقدات التي أفرزها الإستعمار الإنجليزي خاصة في مصر، بهدف إبراز الجهود الوطنية والعالمية التي سجّلها محمد عبده في سجلّ العلم والدين الإسلامي ، هذا الأخير الذي عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (1849 – 1905 م) التي قضى جلّها خدمة للعلم والدين الإسلامي وإصلاح المجتمعات الإسلامية .

وفي سياق هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الآتية :

- ما هي أوضاع مصر في عصر محمد عبده ؟
- من هو محمد عبده ؟ وما هي أهمّ مواقفه من قضايا عصره ؟ وما هي أفكاره الإصلاحية ؟
- كيف ساهم محمد عبده بفكره في النهوض بالثقافة العربية الإسلامية وإحيائها ؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسّمت الموضوع إلى مقدمة وفصلين وخاتمة .

تناولت في المقدمة عرض للموضوع من جوانبه المختلفة ، ثمّ تعرضت في الفصل الأول لحياة محمد عبده ، وانضوى تحته سبع مباحث كشفت عن حياته العلمية والعملية ، أما الفصل الثاني تطرقت فيه لأهمّ مواقف محمد عبده من قضايا عصره ، والتي من بينها : التربية والتعليم ، إصلاح اللغة ، حرّية المرأة وتعليمها ، إصلاح الأسرة ، الممارسات الدينية وتفسير القرآن الكريم ، أفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني ، السياسة ، الثورة العرابية ، الاحتلال البريطاني ، الاستبداد السياسي ، الدولة العثمانية ، الأديان الأخرى ، الأوضاع الإجتماعية ، إنشاء الجامعة الإسلامية ، وأوجزت في الخاتمة أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها من خلال دراسة شخصية محمد عبده .

حدّد هذا الموضوع منهجه المتبع في دراسة هذه الشخصية ، إذ فرض المنهج التاريخي وجوده ، فبحكم طبيعة الموضوع كان لزاما عليّ اعتماد هذا المنهج لتقرير أحداث ووقائع تاريخية بحتة ووصفها وتصنيفها حسب الميادين والمجالات ، كما أنّي اعتمدت على المنهج الوصفي الملائم لوصف شخصية محمد عبده .

وقد استأنست في هذا العمل ببعض المصادر والمراجع الأساسية التي كان حضورها قويّا ومكثّفا في هذا البحث والتي وفّرت لي المادة الخبرية لعلّ أهمها :

- جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده : **العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى** .
- أحمد أمين : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** .
- محمد عمارة : **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده** .
- محمد فوزي عبد المقصود : **الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم** .

وإن كان لا بدّ من ذكر الصعوبات التي واجهتها في إنجاز هذه الدراسة ، فلعلّ أهمّها ضيق الوقت وصعوبة التنسيق بين المصادر والمراجع التي تحتوي على معلومات متشابهة

ومتداخلة فيما بينها ممّا صعب عليّ عملية التنسيق والترتيب لإيجاد معلومات متتالية ومترابطة تُمكّنني من الفهم والاستيعاب .

وفي ختام هذا الموضوع أرجو أن أكون قد وُفِقت في هذا العمل الذي كان فحواه دراسة فكر عَلَمٍ من أعلام الإصلاح في العالم العربي والإسلامي ، والتطرّق لأهمّ مواقفه ، آرائه وأفكاره الإصلاحية ، كما أرجو أن يكون هذا البحث عونا وسندا لأيّ طالب يحاول أن يسبر أغوار هذا العلم أو يسلّط الضوء على جانب من حياته ، فإن وُفِقت في هذا العمل فهذا أقصى ما يتمناه كلّ واحد منّا ، خاصة بعد بذل جهد كبير ونفس طويل في هذه الدراسة ، وأمّا إن كان العكس أو لم أُوَفق فيه كليا فهذا يرجع إلى أنّ أيّ عمل لا يمكن أن يخلو من شائبة ولا يعتريه النقص أو الخطأ أو السهو في جانب من جوانبه إلاّ كتاب الله فيما أعتقد .

ولا يسعني في النهاية إلاّ أن أشكر أستاذي المشرف حاجي فاتح على رحابة صدره ، وقوّة صبره ، فقد كان سندا لي ، ولن أنسى فضله وفضل كلّ من ساعدني في إنجاز هذا البحث من الأساتذة والزملاء والأصدقاء ، والله من وراء القصد والحمد لله ربّ العالمين .

الـفـصـــــل الأول :

حيـــــاة محمـــد عبـــده

المبحث الأول : ميـــلاده ونشـــأتـــــه

المبحث الثاني : تـــعليـمـــــــه

1- طلـــب العلـــــم

2- عودتـــــه إلـــى طلـــب العلـــم ثـــانيـــة

3- لقـــاؤه بجمـــال الديـــن الأفغـــانـــي

المبحث الثالث : حيـــاته العمليـــة (أهـــمّ المناصـــب التـــي شغلـــها)

1- محمـــد عبـــده معلـــما

2- محمـــد عبـــده صحفيـــا

المبحث الرابع : رحـــلاتـــــه

1- ذهـــابـــه إلـــى ســـوريـا

2- ذهـــابـــه إلـــى بيـــروت

3- ذهـــابـــه إلـــى باريـــس وإنشاء جريدة العروة الوثقـــى

4- ذهـــابـــه إلـــى لنـــــدن

5- ذهـــابـــه إلـــى تـونـــس

المبحث الخامس : العـــودة إلـــى مـصـــــر

المبحث السادس : حياتـــه العمليـــة (أهمّ المناصب التي شغلـــها) بعد العـــودة

1- محمـــد عبـــده قاضـــيـا

2- محمـــد عبـــده مفـتـــيا

المبحث السابع : وفـــاتـــــه ومـــؤلفـــاتـــــه

1- وفـــاتـــــه

2- مـــؤلـــفـــاتـــــه

هذه الصفحات القليلة ليست تعريفا مجملا لحياة محمد عبده ، فقد وضعت لحياته العديد من الترجمات على أسس متعددة ومتباينة المناهج الخاصة بالترجمة لحياة العظماء والمفكرين والحكماء ، وإنّما الأمر الذي نحن بصدده هو تقديم لمحة عن حياته مراعين في ذلك أهمّ المسارات التي مرّ بها الرجل وشكّلت نقطة انعطاف من قريب أو بعيد في حياته ، وهذه بطاقته الحياتية تشمل ما يلي[1]:

المبحث الأول : ميلاده ونشأته :

محمد عبده واحد ممن حفر التاريخ أسماءهم من المصلحين الذين صنعوا مشروعا فكريا حضاريا مصبوغا بالصبغة الإسلامية ، ومستندا إلى حضارة إسلامية عريقة[2].

ويبدو أنّ شخصية محمد عبده المتميزة قد ذاع صيتها بين أوساط المؤرخين والدارسين والباحثين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين[3]، وممّا اتفق عنه بعضهم أنّ مولده كان في قرية محلة نصر مركز شبراخيت بمديرية البحيرة في مصر سنة 1266 هـ الموافق لـ 1849 م[4]، بينما يرى آخرون أنّه ولد بحصة شبشير من قرى إقليم الغربية ، ولكنّه نشأ في قرية محلة نصر[5]، والقرية المذكورة التي ولد فيها هي بجوار مدينة طنطا ، لأب تركماني وأم مصرية تنتمي إلى قبيلة بني عدي العربية[6] في أسرة تعتز بكثرة

---

1) - محمد عمارة : **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده** ، (ج 1) ، (ط 1) ، دار الشروق : القاهرة ، 1993 ، ص 21 ، 22 .

2) - محمد الصياد : **الشيخ محمد عبده .. مولده وحياته وفكره (1849 – 1905)** ، الموسوعة التاريخية الرسمية .

3) - أحمد الشويخات وآخرون : **الموسوعة العربية العالمية** : الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2004 .

4) - محمد فوزي عبد المقصود : **الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم** ، كتاب إلكتروني ، جامعة الفيوم ، ص 15 .

5) - أحمد لطفي السيد : **الإمام محمد عبده باعث الدولة المدنية (شخصية من مصر)** ، 20 نوفمبر 2013 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . Egypt History . Net / 2010 /

6) - **محمد عبده (عالم دين)** ، موسوعة المعرفة الحرّة ، نوفمبر 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . Marefa . org / index . php /

رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام ، وتحمّلهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات : هجرة ، سجنا ، تشريدا وضياع ثروة[1]، ومن عائلة متأصّلة الجذور واجهت تعنت الجباة القساة ممّا اضطرها للعيش في حالة من البؤس في أمكنة متعددة هربا من الضرائب الباهظة[2].

لقد كان أبوه عبده حسن خير الله ممن رزقوا بسطة في جسومهم وقوّة ومُرّنوا على الرماية والفروسية فكسبوا من الهيبة بقوّتهم وبطشهم فوق ما كان لهم من عز ومال[3].

وعلى كل حال فلقد ورث محمد عبده صفات نشأ عليها ، وساعدته بيئته على نموّها ، أهمها : الذكاء ، الثقة بالنفس والاعتداد بها ، ويتبع ذلك حب التفوق والعطف[4].

عاش الطفل محمد عبده – كما يقول العقاد – في بيت من بيوت القرية المتوسطة لا يحسب من أفقرها ولا يحسب من أغناها ، كما نشأ في منزل به زوجات متعددات وأولاد مختلفي الأمهات ، فاستطاع منذ حداثة سنّه أن يقف على ما في نظام الأسرة المصرية من عيوب سيوجّه همته إلى إصلاحها[5].

المبحث الثاني : تعليمه :

1- طلب العلم :

تعلّم محمد عبده القراءة والكتابة وحفظ القرآن في سنتين ، كان هذا كلّه في منزل والده وعمره آنذاك لا يتجاوز العاشرة ، بعدها انتقل إلى الجامع الأحمدي بطنطا ليتعلّم تجويد القرآن الكريم عام 1862 م برغبة من والده ، فمكث سنة ونصف لم يفهم فيها شيئا لرداءة

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 23 .

2) - أمينة يوسف : **إمام الإصلاح** ، ديوان الأهرام ، على الرابط الإلكتروني :

http : // digital . ahram . org . eg / articles . aspx ? Serial = 295813 & eid = 3212

3) - جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده : **العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى** ، تحقيق : صلاح الدين البستاني ، (ط3) ، دار العرب : القاهرة ، 1993 ، ص 17 .

4) - أحمد أمين : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ، دار الكتاب العربي : بيروت ، ص 280 .

5) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 15 ، 16 .

طريقة التعليم حسب قوله[1]، فتراه يقول في هذا الصدد : « جلست في دروس العلم ، وبدأت بتلقي شرح الكفراوي[2] على الأجرومية في المسجد الأحمدي بطنطا ، وقضيت سنة ونصف لا أفهم شيئا لرداءة طريقة التعليم ، فإنّ المدرسين كانوا يفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها ، ولا عناية لهم بتفهيم معانيها لمن لم يعرفها ، فأدركني اليأس من النجاح وهربت من الدرس »[3].

وبعد أن ملّ وسئم الطفل محمد عبده من أساليب التدريس العقيمة والجامدة التي صدّته عن مزاولة الدراسة فقرّر هجرانها ، وعاد إلى القرية سنة 1865 م فتزوج يومئذ على حداثة سنّه في نفس السنة التي عاد فيها – أي عن عمر لم يتجاوز السادسة عشر– وحاول إيجاد بديل للدراسة والانقطاع عن سلك التعليم فوجده بالزراعة مع أبيه وإخوته ، لكنّ أباه رفض ذلك جملة وتفصيلا وأصرّ على تعليمه[4]، فلمّا وجد من أبيه العزم على ما أراد وعدم التحوّل عمّا رسمه له هرب إلى بلدة قريبة فيها بعض أخوال أبيه ، وهناك التقى بالشيخ الصوفي درويش خضر[5] – خال أبيه – الذي كان له الأثر الكبير في تغيير مجرى

---

1) - سليمان بن صالح الخراشي : **محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة (دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات الدكتور محمد عمارة)** ، دار الجواب : 1993 ، ص 348 .

2) - هو حسن بن علي الكفراوي الشافعي فقيه نحوي ، ولد في كفر الشيخ الحجازي بالقرب من المحلة الكبرى بمصر ، وانتقل إلى القاهرة فدرس فيها إلى أن توفي سنة 1788 م ، له إعراب الأجرومية في النحو ، والدرّ المنظوم بحلّ المهمات في الختوم .

– ينظر: خير الدين الزركلي: **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)** ، (ج 2) ، (ط 15) ، دار العلم للملايين : بيروت ، 2002 ، ص 205 .

3) - صلاح الدين حمزة ، **الإمام محمد عبده وآراؤه النقدية والبلاغية** ، مطبعة عابدين : القاهرة ، 1984 ، ص 20 .

4) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 23 .

5) - درويش خضر صوفي المذهب ، له علاقة بالزاوية السنوسية ، كان له الأثر في إعادة محمد عبده للدراسة ثانية بعد انقطاعه .

– ينظر: محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 24 .

حياته[1]، وفي هذا الصدد يقول : « ... ثمّ يوما فيوما حبّب إليّ المطالعة ، وقرأت الرسائل التي تحتوي على شيء من معارف الصوفية وكثير من كلامهم في آداب النفس وتطهيرها من دنس الرذائل ... لم يأت عليّ اليوم الخامس إلاّ وقد صار أبغض شيء إليّ ما كنت أحبّه من لهو ولعب ، وعاد أحبّ شيء إليّ ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم ، وكرهت صور أولئك الشبان الذين كانوا يدعونني إلى ما كنت أحب ، فكنت لا أحتمل أن أرى واحدا منهم ، بل أفرّ من لقائهم جميعا كما يفرّ السليم من الأجرب »[2].

2- عودته إلى طلب العلم ثانية :

بعد التقاء محمد عبده بالشيخ درويش خضر المتأثّر بتعاليم السنوسية التي تتّفق مع حركة محمد بن عبد الوهاب[3] في شبه الجزيرة العربية في الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام الخالص في بساطته الأولى ، وتنقيته ممّا شابه من بدع وخرافات ، فألقى إليه ببعض من حكمته وقاده إلى شيء منها[4]، كما استطاع أن يعيد محمد عبده مرّة أخرى إلى العلم والدراسة بطريقه مختلفة عن تلك التي مرّ بها في الجامع الأحمدي ، وعلّمه في المدّة القصيرة التي أقامها معه كيفية تلقّي العلم بأسلوب سهل وميسر، ولقّنه دروسا في الصوفية

---

1) - سمير حلبي : **محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث** ، على الرابط الإلكتروني :
http:// www, Islam on Line Net / Arabic / History / 1422 / 07 / Article 29 , Shimi , Page 1 of 7.

2) - Mehjabeen Akhter : **Contribution of Shaik Mohammed Abduhu to Arabic Literature** , S.A.Printers Hyderabad (A . P) , India , 2004 , P 20 .

3) - محمد بن عبد الوهاب (1115 – 1206 هـ / 1703 – 1792 م) داعية إسلامي من زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، وُلِدَ بقرية العُيَيْنَة بنجد بالمملكة العربية السعودية ، حيث تعلّم على يد والده القرآن والحديث ، ثمّ سافر إلى العراق والمدينة ومكة لطلب العلم ألمّ خلالها بكثير من العلوم الشرعية .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

4) - الشيخ شريف : **الإمام محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث** ، الثلاثاء 23 فيفري 2010 ، 11:43 ، على الرابط الإلكتروني :
http : // www . ahl almontada . com / ar / phpbb /

وفق اعتقاده فيها ، واقتنع أخيرا بالعودة إلى طلب العلم بعد هذا اللقاء الذي أدّى إلى إعادة الثقة إلى محمد عبده ، فعادت إليه الرغبة[1]، وصار طلب العلم أحب شيء لنفسه[2].

وبذلك عاد محمد عبده إلى الجامع الأحمدي سنة 1865 م / 1282 هـ ، وبدأ يفكّر في الذهاب إلى القاهرة كي يلتحق بالجامع الأزهر[3].

انتقل محمد عبده بعد ذلك إلى الدراسة في الأزهر الشريف وذلك في عام 1866 م ، وتلقّى علومه المختلفة ، فدرس الفقه ، الحديث ، التفسير، اللغة ، النحو والبلاغة ، وغير ذلك من العلوم الشرعية واللغوية ، ولم يكتف بالعلوم الشرعية فقط بل حاول الانفتاح على العلوم الأخرى التي لم يدرّسها الأزهر، فوجد ضالته في بعض الشخصيات التي أثّرت في مساره ، ومنهم الشيخ درويش خضر الذي قدّم له النصح وضرورة التعرف على العلوم الأخرى بجانب العلوم الشرعية ، ومن ثمّ فقد اتصل محمد عبده بالرجل الثاني الذي كان له أثر كبير في توجيهه إلى العلوم العصرية ، وهو الشيخ حسن الطويل[4] الذي كان على دراية بعدد من

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : **إسهامات محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس في قضايا عصرهما** ، الأحد 22 أفريل 2012 ، 12:37 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . benbadis . net / research - and - studies / benbadis / 302 - benbadis . html

2) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 348 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 24 .

4) - هو حسن بن أحمد بن علي ، أبو محمد الطويل : فاضل مصري مالكي ، ولد في منية شهالة بالمنوفية سنة 1250هـ الموافق لـ 1834 م ، وتعلّم بطنطا ثمّ بالأزهر، واشتغل بالتدريس وتولّى تصحيح ما يطبعه ديوان الجهادية (الحربية) ، ثمّ كان مفتشا في وزارة المعارف ، ولما قام المهدي بالسودان وعظم أمره واستولى على البلاد السودانية ، جاهر المترجم له بنصرته وساء الانجليز ذلك ، فراقبوه وكاد يصيبه أذاهم ، وكان شديد الإنكار على المبتدعة وصفه تلميذه أحمد تيمور بالورع ، له عنوان البيان في التفسير طبعت مقدمته . توفي في 23 صفر 1317 هـ الموافق لـ 1834 م بالقاهرة .

- ينظر: خير الدين الزركلي : مرجع سابق ، ص 183 .
- وينظر: عمر رضا كحالة : **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)** ، (ج 1) ، (ط 1) ، مؤسسة الرسالة: بيروت ، 1993 ، ص 536 .

العلوم مثل الرياضيات والفلسفة[1]، كما كان له اتصال بالسياسة ، وعُرف بالشجاعة في القول بما يعتقد دون رياء أو مواربة ، وقد حرّكت دروس الشيخ حسن الطويل كوامن نفس محمد عبده ، ودفعته إلى البحث عن المزيد[2].

استمر محمد عبده في الدراسة بالأزهر حتى حصل على شهادة العالمية منه عام 1877 م[3] رغما عن تشديد أكثر المشايخ عليه لحضوره عند السيد جمال الدين الأفغاني[4] الذي كان مبغوضا عندهم[5]، ولولا إصرار رئيس لجنة الامتحان الشيخ محمد المهدي العباسي شيخ الأزهر على نجاحه لرسب[6]، وعمره آنذاك ثمانية وعشرين عاما ، ولم يكن

1) - أمل الشريف : **محمد عبده روح العصر وأصالة الدين** ، مجلة نصف الدنيا ، على الرابط الإلكتروني :
http : // digital . ahram . org . eg / articles . aspx ? Serial = 287432 & eid = 112

2) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

3) - محمد محمود السروجي : **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، الإسكندرية ، 1998 ، ص 107 .

4) - هو جمال الدين بن صفدر(صفتر) بن علي بن محمد بن محمد الحسيني ، ولد في أسعد آباد بأفغانستان في شعبان سنة 1254 هـ الموافق لـ 1838 م ، ونشأ بكابل ، حكيم ، واسع الاطلاع في العلوم العقلية والنقلية ، وكان يعرف اللغات الأفغانية ، الفارسية ، العربية ، التركية ، السنسكريتية ، الفرنسية ، ويلمّ باللغتين الإنجليزية والروسية ، سافر إلى الهند وتلقى العلوم العقلية والنقلية ، ورحل إلى الحجاز ، ثم عاد فأقام بكابل ، وانتظم في سلك رجال الحكومة ، ثم رحل إلى القسطنطينية ، فنصب عضوا في مجلس المعارف ، ثم قصد مصر، فنفخ فيها روح نهضة إصلاحية في الدين والسياسة ، ونفته الحكومة المصرية ، فقصد باريس وأنشأ فيها مع رفيقه محمد عبده المصري جريدة العروة الوثقى ، ورحل رحلات طويلة ، ثم دعي إلى القسطنطينية ، ومرض بعد هذا بالسرطان في فكّه ، ويقال دسّ له السّم ، وتوفي بالآستانة في 9 مارس 1314 هـ الموافق لـ 1897 م ، ونقل رفاته سنة 1364 هـ ، فدُفن في بلده ، من آثاره تاريخ الأفغان ، ...

- ينظر: الشيخ خير الدين الزركلي : **الأعلام** (ج 6) ، مرجع سابق ، ص 169 .
- وينظر: عمر رضا كحالة : مرجع سابق ، ص 502 .

5) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 23 .

6) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 25 .

نيله لها بالمانع له من الاستمرار في طلب العلم[1]، ثمّ يأتي دور جمال الدين الأفغاني في حياة محمد عبده وتنشأ بين الاثنان صداقة قويّة مبعثها الدعوة إلى الإصلاح[2].

3- لقاؤه بجمال الدين الأفغاني :

أثناء دراسة محمد عبده بالأزهر وتحديدا عام 1871 م قدم جمال الدين الأفغاني إلى مصر وكان يفيض ذكاءا وحيوية ونشاطا ، فهو دائم الحركة ، دائم التفكير، دائم النقد ودائم العطاء ، وكان محرّكا للعديد من ثورات الطلاب ومظاهراتهم ، فقد وهب نفسه لهدف أسمى وغاية نبيلة هي إيقاظ الدولة الإسلامية من سباتها والنهوض بها من كبوتها وضعفها ، فعمل على تبصرة الشعوب بحقوقها من خلال تنوير عقول أبنائها ، فكان محمد عبده من أشدّ الطلاب المتحمسين له ، ووجد الأفغاني فيه الذكاء وحسن الاستعداد وعلوّ الهمّة فضلا عن الحماسة في الدعوة إلى الإصلاح ، ورأى محمد عبده من خلال الأفغاني الدنيا التي حجبتها عنه الدراسة في الأزهر[3].

وقد تأثّر محمد عبده بأستاذه تأثّرا كبيرا ، فنجح في التخلص من القيود والجمود الذين كانا من سمات الأزهر في ذلك الوقت ، كما نادى بضرورة الإصلاح الديني والسياسي في الوقت نفسه ، وكانت وسيلته في هذا السبيل الكلمة المسموعة والكلمة المكتوبة[4]، وتلازم الرجلان ونشأت بينهما صداقة صافية ، وساد بينهما نوع من الوئام والتوافق والانسجام على أساس من الحب المتبادل والاحترام والتقدير[5].

---

1) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 349 .

2) - صديق السيد : **نشأة الإمام محمد عبده وحياته العملية** : 19 سبتمبر 2010 ، على الرابط الإلكتروني :
http : // www . im2all . com / Sona3 AlNaga7 Person . aspx ? parid = 151 & id = 210

3) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

4) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 107 .

5) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

المبحث الثالث : حياته العملية (أهم المناصب التي شغلها) :

1- محمد عبده معلما :

بعد أن نال محمد عبده شهادة العالمية من الأزهر انطلق ليبدأ رحلة كفاحه من خلال هدفه في الدعوة للإصلاح ونشر التنوير والعلم ، فلم يكتف بالتدريس في الأزهر الذي قام بتدريس المنطق والفلسفة والتوحيد فيه[1]، وإنّما أصبح مدرسا للتاريخ في مدرسة دار العلوم التي درّس فيها مقدمة ابن خلدون ، ومدرسا للأدب في مدرسة الألسن ، كما كان يلقي دروسا خاصة في منزله[2]، وظلّ محمد عبده مدرسا حتى أقيل من مدرستي دار العلوم والألسن ، وأمر أن يقيم في قريته محلة نصر في أوت عام 1879 م ، وكان ذلك بمساع من الإنجليز، وظلّ بها حتى عفا عنه الخديوي توفيق في عام 1880 م [3].

كان محمد عبده من خلال تدريسه يحثّ الشباب على التضحية ، فداء للأمة المقهورة التي يقتسم الأجانب إرثها علانية أمام أعين الشعب ، كما أنّه طالب الشباب بالاستعداد من أجل الوفاء بإصلاح الوطن فهم اليوم شباب الأمّة وغدا رجالها ، وكان منهجه التعليمي دائما يركّز على التحرّر من قيود التقليد والتمسك الشديد بها ، وألمح إلى أنّ الفلسفة هي وسيلة التحرر من التقليد[4].

كان غرضه من تدريسه بثّ أفكاره الإصلاحية في السياسة وفي المجتمع وفي التعليم عبر ذلك الدرس ، كما كان يكلّف تلاميذه بكتابة المقالات ليعوّدهم الإحساس بمشاركته في الإصلاح والنقد ، فتكون آراؤه لديهم أكثر قبولا وتأثيرا[5].

---

1) - صديق السيد : مرجع سابق .

2) - ألبرت حوراني : **الفكر العربي في عصر النهضة** ، ترجمة : كريم عزقول ، مطبعة النهار للنشر: بيروت ، 1968 ، ص 164 .

3) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

4) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 22 .

5) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 349 .

كما حارب في المدرسة الخديوية طغيان اللغات الأجنبية وطالب بتركيز الاهتمام باللغة الأمّ ، وكانت دعوته من خلال دروسه بالرغم من هدوئها فعّالة ومؤثّرة بدرجة أزعجت السلطة القائمة ، ولم يمارس محمد عبده مهام وظيفته التدريسية سوى عام واحد ، ثمّ نُصح بتقديم استقالته ومغادرة القاهرة والعودة إلى مسقط رأسه ثانية والبقاء هناك ، وقد أعاق هذا القرار عاما عن المضي قدما في طريقه الإصلاحي الذي بدأه[1].

2- محمد عبده صحفيا :

فضّل محمد عبده أن يقضي وقته في الصحافة كما حبّبه فيها أستاذه جمال الدين الأفغاني ، حيث كان لمصر دور الريادة في الصحافة للعالم العربي حتى إذا تولّى الخديوي توفيق العرش وأسند إلى رياض باشا رئاسة النظار فاتجه إلى إصلاح جريدة الوقائع المصرية وهي الجريدة الرسمية التي أسّسها محمد علي[2] في عام 1828 م ، فاختار محمد عبده لهذه المهمّة فنهض بها نهضة عظيمة ، واستعان على تحريرها بنخبة من المحررين

---

1) - عثمان أمين : **دروس للشباب في سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده** ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، عدد 40 ، نوفمبر 1964 ، ص 33 .

2) - محمد علي (1182 - 1265 هـ / 1769 - 1849 م) جندي ألباني ، ولد بمدينة قولة باليونان ، كان موظفا صغيرا ثمّ عُيّن واليا على مصر في عام 1805 م ، وحارب تحت راية السلطان العثماني على رأس مجموعة من جنود البلقان ، جاء إلى مصر مع الحملة التي شكلها السلطان العثماني لمحاولة طرد الجيش الفرنسي ، وقد أظهر من المهارة والنبوغ ما لفت إليه الأنظار، ولمّا ضاق المصريون بحكم خورشيد باشا أوعز محمد علي إلى بعض العلماء ليطلبوا من الباب العالي توليته فوافق السلطان العثماني ، وكان نجاح المصريين في صدّ الإنجليز بقيادة فريزر عام 1807 م نقطة إيجابية لصالح محمد علي وتقوية مركزه لدى السلطان .

- ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

من خيرة تلاميذ جمال الدين الأفغاني أمثال سعد زغلول[1] وإبراهيم الهلباوي والشيخ محمد خليل .

ومن هنا انطلق محمد عبده للإصلاح فوضع لائحة للجريدة الرسمية أجازها ونفذها رياض باشا[2]، وكانت مهمّة محمد عبده تحرير وكتابة المقالات الإصلاحية الأدبية والإجتماعية[3]، كما قام بكتابة عدد من المقالات في عدد من الجرائد مثل جريدة الأهرام[4]، وتناولت مقالاته أمورا أساسية في حياة الأمّة الإجتماعية ، القانونية والشرعية ، فكتب عن تفشّي الربا والرشوة ، وناقش المواءمة بين القانون والقوّة ، وحاجة الإنسان إلى الزواج وتعدد الزوجات واستجاب للنوازع الوطنية الثائرة فيه ، فهاجم التدخل الأجنبي في شؤون البلاد ودعا أبناء الوطن إلى الوحدة والتماسك ومؤازرة الجيش المصري[5].

لقد كانت مقالات محمد عبده التي كان يكتبها والتي تعتمد على العلوم العقلية والدعوة إلى العلوم العصرية تدلّ على تأثّره بالكتب الفلسفية الشرقية التي درسها ، وتدلّ على أسلوب قويّ وبلاغة ممتازة[6]، وأنشأ في الوقائع قسما غير رسمي إلى جانب الأخبار الرسمية ،

---

1) - هو سعد بن إبراهيم زغلول (1273 - 1346 هـ / 1857 - 1927 م) ، زعيم سياسي مصري ولد في إبيانة من قرى محافظة الغربية بمصر، توفي والده وهو في سنّ الخامسة ، فتعلّم في كُتَّاب القرية ، ودخل الأزهر سنة 1290 هـ ، فمكث نحو أربع سنوات ، واتّصل بجمال الدين الأفغاني فلازمه مدّة ، واشتغل في جريدة الوقائع المصرية مع محمد عبده سنة 1298 هـ ، ولمّا نشبت ثورة عُرابي كان ممن اشتركوا فيها ، انفرد بقيادة الحركة الوطنية وتنظيمها ما بين سنتي 1919 و1927 م ، فكان رجل مصر ولسانها وموضع ثقتها وقبلة أنظارها ، وعمل المحتلون البريطانيون على إبعاد الجمهور المصري عنه ففشلوا ، وهو أول سياسي هدّد الإنجليز بتكاتف العالم العربي فقال : « إنّ مصر تملك زرًا كهربائيًا إذا ضغطت عليه لبَّتها بلاد العروبة جميعًا » ، ألّف في شبابه كتابًا في فقه الشافعية وهو مطبوع .

- ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

2) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

3) - أمل الشريف : مرجع سابق .

4) - صديق السيد : مرجع سابق .

5) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 23 .

6) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 24 .

وظلّ محمد عبده في هذا العمل نحو سنة ونصف استطاع خلالها أن يجعل الوقائع منبرا للدعوة إلى الإصلاح[1]، وقد مهّد له هذا الاتجاه ليكون أحد رجال الثورة العرابية الأفذاذ ، وإن لم يكن ظهوره لم يتضح إلاّ في المرحلة الثانية من الثورة[2].

المبحث الرابع : رحلاته :

1- ذهابه إلى سوريا :

بعد أن هبّت ريح الثورة العرابية سنة 1882 م دخل الإنجليز مصر فكان محمد عبده في جملة الذين قُبض عليهم ، فحُكم عليه بالنفي لمدّة ثلاث سنوات لأنّه أفتى بعزل توفيق باشا الخديوي ، فاختار الإقامة بسوريا فذهب إليها لكنّه لم يمكث بها طويلا ، ومع ذلك استفاد الناس من بحر علمه ، واجتمع حوله عدد كبير من الطلاب الذين أصرّوا على إقامته بينهم ، وعهدوا إليه بالتدريس في بعض المدارس[3].

2- ذهابه إلى بيروت :

وبعد ذهاب محمد عبده إلى سوريا غيّر وجهته مرّة أخرى ، فاتجه إلى بيروت التي استقبله أهلها بحفاوة بالغة ، وتزوّج من زوجته الثانية بعد وفاة زوجته الأولى[4]، ومكث بها نحو العام قام خلالها بعدّة جولات شملت بيت المقدس ، دمشق ، بعلبك وطرابلس ، وعنى عناية خاصة بقضايا التعليم فيها[5]، ثم تلقّى دعوة من أستاذه جمال الدين الأفغاني إلى باريس باريس فلبّى ذلك .

وفي سنة 1885 م عاد مرّة ثانية إلى بيروت بعد أن تهاوى كل شيء من حوله ، فقد فشلت الثورة العرابية ، وأغلقت جريدة العروة الوثقى ، وابتعد عن أستاذه الذي رحل بدوره

---

1) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

2) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 107 .

3) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 25 .

4) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

5) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

إلى فارس ، وكان على محمد عبده أن يشغل وقته بالتأليف والتعليم[1]، فبدأ درسه في منزله ببيروت في السيرة النبوية ، ودرّس في الجامع الكبير تفسير القرآن الكريم الذي كان لا يلتزم فيه كتابا ولا يعتمد على آراء المفسرين السابقين وإنّما يقرأ في المصحف ويفسّر[2]، وقد اتّخذ من بيته ندوة للحديث العلمي والأدبي والسمر المفيد ، وكان لبقا في دروسه وأحاديثه يشتاق إليها المسلم والنصراني[3]، وحينئذ أصبح بيته ملتقى العلماء ، الفضلاء ، الأدباء والتلاميذ الذين كانوا يجتمعون من جميع النواحي البعيدة والقريبة[4].

وأخذ يدرّس تفسير القرآن في بعض مساجد بيروت بمنهج عقلي حديث لم يسبق له مثيل في الشرق منذ يقظته ، طبّق فيه منهج أستاذه الأفغاني ، وكان ذلك بالمسجد العُمري ببيروت حيث كان يعقد درسه به ثلاث ليال في الأسبوع ، واجتذب درسه هذا الحركة الفكرية والثقافية هناك ، حتى أنّ المستنيرين من المسيحيين كانوا يجتمعون على باب المسجد لسماعه ، ولمّا حالت ضوضاء الشارع دون سماعهم له طلبوا منه السماح لهم بدخول المسجد لمتابعة حديثه ، فسمح لهم بالوقوف داخل المسجد إلى جوار الباب ، واستمرّت دروسه هذه في التفسير حوالي السنتين لم يسجل لنا منها شيء[5]، وفي سنة 1886 م دُعي للتدريس في المدرسة السلطانية في بيروت فلبّى ، حيث عمل على الارتقاء بها ، تطويرها ، النهوض بها وإصلاح برامجها[6]، فانتقل بها من مدرسة شبه ابتدائية إلى مدرسة شبه عالية[7].

---

1) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

2) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 349 .

3) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 308 .

4) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 25 .

5) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 31 .

6) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

7) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 31 .

وكان له فيها إصلاحات متعددة فزاد في العلوم : التوحيد ، معاملات الفقه ، التاريخ ، المنطق ، البلاغة ، المعاني والإنشاء ، ووجد أنّ الكلام المختصر في التوحيد لا يأتي على الغرض من إفادة التلاميذ ، والكلام الطويل يعلو على إفهامهم ، أمّا المتوسط فأُلّف لغير زمانهم ، وبذلك أملى عليهم ما هو أمسّ بحالهم فكانت رسالة التوحيد ، كما نقل إلى العربية رسالة الردّ على الدهريين لأستاذه الأفغاني ، ثمّ قام بتأليف عدد من الكتب وقام بشرح كتب نهج البلاغة ومقامات بديع الزمان الهمذاني[1]، وديوان الحماسة وإشارات ابن سينا ، وكتاب التهذيب ، ومجلة الأحكام العدلية العثمانية ، كما ألقى فيها دروس التوحيد التي تحوّلت بعد عودته لمصر إلى رسالة التوحيد[2]، كما شارك بكتابة بعض المقالات في جريدة ثمرات الفنون عددا من المقالات تشبه مقالاته في الوقائع[3].

وكتب أثناء وجوده في بيروت لائحتين لإصلاح التعليم الديني في الدولة العثمانية بعث بهما إلى شيخ الإسلام في إسطنبول[4]، ورفع لائحة أخرى إلى والي سوريا تتضمن إصلاح بيروت ، ووصف سوء حالها ، وتقسّم النزاعات السياسية لها بانتشار المدارس الأجنبية فيها واقترح تعميم المدارس الوطنية ، وإصلاح برامج التعليم الديني والعناية به[5]، حيث مكث في بيروت مدّة نفيه إلاّ عشرة أشهر أقامها في باريس[6]، أسّس خلالها بمعونة أشخاص آخرين جمعية دينية سرّية من أهدافها التقريب بين الأديان الثلاثة الكبرى : (الإسلام ، المسيحية واليهودية) ، فكان له السبق في تطبيق مبدأ الحوار بين الثقافات[7].

---

1) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 350 .

2) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 31 .

3) - عبد الرحمان بن خلدون : **الفكر الإصلاحي عند محمد عبده** ، 17 مارس 2012 ، 10:51 ، على الرابط الإلكتروني:

http : // www . moheet . com / 2007 / 06 / 27

4) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 25 .

5) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 309 .

6) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 349 .

7) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 25 .

وفي بيروت مارس العلم الثقافي ، التربوي والفكري إلى جانب قليل من العمل السياسي المباشر بحكم الصلات التي كانت لا تزال قائمة بينه وبين أستاذه جمال الدين الأفغاني ، وتنظيم العروة الوثقى[1].

سكن محمد عبده بيروت فانقطع عن مدد الثورة والهياج السياسي الذي كان يمدّه به أستاذه جمال الدين الأفغاني ، وعاد إلى طبيعته بميله إلى الإصلاح العقلي والديني وتجنّب السياسة ، وكانت الظروف حوله تدعو إلى ذلك ، فقد أخفقت مفاوضاته مع الإنجليز ولم تنجح ، وهو في ذلك يقيم في بيروت حيث الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد[2] الذي يخنق الحرّية ، ويملأ البلاد بالجواسيس يحصون على الناس أنفاسهم ، ولهذا كلّه كان محمد عبده في بيروت عالما ومعلما فقط يملأ زمنه بالتأليف والتعليم ، وعلى الجملة فقد خلق في بيروت حركة علمية راقية استفاد منها كثير من أهلها[3].

3- ذهابه إلى باريس وإنشاء جريدة العروة الوثقى :

بينما كان محمد عبده في بيروت مشغولا بالإصلاح الذي نذر له نفسه جاءه خطاب من أستاذه جمال الدين الأفغاني يدعوه فيه للسعي إليه في باريس ، فاستجاب لدعوته تاركا زوجته وبناته الثلاث وأخ أصغر له وخادمة في رعاية أصدقائه من أهل بيروت ، ولم يكد يمرّ شهران على إقامة محمد عبده في باريس حتى أصبح أوروبيا متفرنسا ، فخلع العمامة

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 30 .

2) - السلطان عبد الحميد الثاني بن السلطان عبد المجيد (1259 - 1327 هـ / 1843 - 1909 م) أحد سلاطين الدولة العثمانية ، ولد بإسطنبول وتولّى السلطة بعد عزل أخيه السلطان مراد الخامس عام 1293 هـ / 1876 م ، وكانت الدولة حينذاك على حافّة الهاوية تتهددها المخاطر من كل جانب ، لا سيما فتن القوميات التي هدّدت الدولة بالتفتت ، وتفاقم أزمة الديون ، وضعف الجيش .

- ينظر: زينة عزيري وآخرون : **الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1843 - 1909 م)** ، رسالة ليسانس ، جامعة تبسة ، 2011 ، ص 22 .

3) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 307 ، 308 .

واستبدلها بالطربوش وأقلع عن حلق رأسه حلقا تاما على عادة المشايخ ، فاستطال شعر رأسه ولحيته وأصبح مظهره يشبه الفنانين في ذلك الزمان[1].

وبعد التقاء محمد عبده بأستاذه جمال الدين الأفغاني كان هناك رأي عام ، وهو أنّ أحسن خدمة تؤدّى للعالم الإسلامي هي توحيد كلمة المسلمين على اختلاف العلل والنحل ، فأنشآ معا جريدة العروة الوثقى ، وهي نموذج البلاغة وحسن البيان ، وأول ما كتبه في اللغة العربية من أساطير السياسة الدينية والدنيوية ، وكانت لها أثر بليغ في العالم الإسلامي[2].

اشترك محمد عبده مع أستاذه في إصدار جريدة العروة الوثقى التي صدرت من غرفة صغيرة متواضعة فوق سطح أحد منازل باريس ، حيث كانت تلك الغرفة هي مقر التحرير وملتقى الأتباع والمؤيدين[3]، وصدر العدد الأول منها يوم الخميس 13 مارس 1884 م ، وكانت تصدر كل خميس وترسل إلى جميع الجهات الشرعية ، وإسم هذه المجلة لم يكن في حقيقة الأمر سوى اسم لجمعية سرّية تكوّنت لكي تكافح الاستعمار، وتبشّر بالتجديد والإصلاح ، وكان الأفغاني رئيسا لهذه الجمعية التي كلّفته بإصدار مجلة عربية علنية في باريس تدعو لأهدافها[4]، وشغل محمد عبده فيها منصب نائب الرئيس[5]، ومارس العمل التنظيمي السري ، وتنقّل بهذه الصفة في بلاد كثيرة بعضها في أوروبا وبعضها في الشرق وكانت كثير من رحلاته هذه سرّية ، ودخل مصر في هذه الفترة سرّا (سنة 1884 م) أثناء اشتداد ثورة المهدي في السودان ، وباشر قيادة عمل الجمعية السرية ، وكتب في هذه الفترة عددا من الرسائل السرّية إلى بعض فروع التنظيم[6].

---

1) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

2) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 25 .

3) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

4) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

5) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

6) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 29 .

كان الهدف الأساسي من إصدار جريدة العروة الوثقى تأليب العالم الإسلامي ضدّ الاحتلال الإنجليزي لمصر، أي أنّ محمد عبده وأستاذه الأفغاني قد استطاعا أن يحوّلا الحركة القومية من حركة مصرية بحتة إلى حركة مصرية في ظلّ الجامعة الإسلامية ، كما عملت الجريدة على توكيد الرابطة بين المسلمين كضرورة تنزل منهم منزلة التقديس[1]، وكان محمد عبده وأستاذه وعدد قليل من معاونيهم يحملون عبء تحرير المجلة وتمهيد السبل لها للوصول بها إلى العالم الإسلامي[2]، وكانت مقالات محمد عبده تتّسم في هذه الفترة بالقوّة والدعوة إلى مناهضة الإستعمار، والتحرر من الاحتلال الأجنبي بكل صوره وأشكاله[3].

كانت مقالات العروة الوثقى تنظر إلى العالم الإسلامي كلّه على أنّه وحدة ، فإن ذكرت مصر أو الهند فعلى سبيل المثال ، وكانت تقصد أول ما تقصد إلى مناهضة الاحتلال الأجنبي بجميع أشكاله ، وتهدف إلى رفع نيره عن العالم الإسلامي كلّه عن طريق ثورة الشعوب ، وبثّ روح العزّة القومية بواسطة العقيدة الدينية الصحيحة ، وخلق الأمل في النجاح مكان اليأس ، وتوثيق الصلات بين الشعوب الإسلامية كلّها لتتعاون على دفع أذى الأجنبي عنها ، والتخلص من المستبدين الظالمين من أهلها ، وتأسيس الحياة الإجتماعية ، الدينية والسياسية على أسس أصول الإسلام الأولى من أعداء السلاح ومقابلة القوّة بالقوّة ، وطرح العقائد الدخيلة التي تعود إلى الاستسلام مثل رمي العبء كلّه على القضاء والقدر، وإفهام الشعوب أنّ الإسلام في شكله الصحيح لا يتنافى مع المدنية ، ولا يعوق التقدم والوصول إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى[4].

لم يكن هذا التأثير القوي للعروة الوثقى بعيدا عن الدوائر الأوروبية والاستعمارية ، حيث أزعجت المقالات التي كانت تظهر فيها حفيظة الإنجليز وأثارت مخاوفهم كما أثارت

---

1) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 108 .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 24 .

3) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

4) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 306 .

هواجس الفرنسيين ، خاصة أنّها تتضمن مقالات تندّد بالاستعمار وتدعو إلى التحرر من الاحتلال الأجنبي بجميع أشكاله ، وتحارب الاستعمار الذي يحاول القضاء على البلاد الإسلامية ، وتجاهد في الإصلاح الإسلامي[1]، فأصابها ذعر شديد خوفا من تألّب البلاد الإسلامية عليها ، فقلقت من اتساع نفوذ هذه الجريدة وأخذت تعمل على وقفها وعدم دخولها مصر والهند ، وشدّدت في مطاردة واضطهاد من يقرؤها ، فأوعزت إلى الحكومة المصرية بمصادرتها وتغريم كل من توجد عنده من 5 جنيهات إلى 25 جنيها ، فتمّ إيقاف صدور الجريدة[2].

وبذلك استطاع الإنجليز إخماد صوت العروة الوثقى الذي أضجّ مضاجعهم وأقلق مسامعهم ، فاحتجبت بعد أن صدر منها ثمانية عشر عددا في ثمانية أشهر[3]، وكان آخر أعدادها الثمانية عشر في 16 أكتوبر 1884 م[4]، وسافر محمد عبده بعد توقف العروة الوثقى عن الصدور إلى تونس ، ومنها إلى مصر متنكرا على أمل اللحاق بثورة المهدي في السودان ، لكن هذه المشاريع لم تسفر عن شيء[5].

هذه المعاني القوية أكسبت أسلوب محمد عبده قوّة لا تجدها في جريدة الوقائع ، ثمّ إنّنا نلاحظه أنّه متى اتصل بأستاذه فنجده نارا من ناره وثائرا من ثورانه ، وعاطفي من حرارة وجدانه ، فإذا انفصل عنه عاد إلى حكم العقل والمنطق وزالت ثورته وخفّت حدّته[6].

---

1) - عبد الرحمان بن خلدون : مرجع سابق .

2) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

3) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

4) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

5) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 24 .

6) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 306 ، 307 .

وعلى إثر ذلك تعلّم محمد عبده اللغة الفرنسية في باريس في مدّة خمسة أشهر فقط ، وأصبح قادرا على المطالعة فيها ، وكان عمره إذ ذاك أربعون سنة[1]، فجمع إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوربية حديثة[2].

4- ذهابه إلى لندن :

وخلال فترة نفيه زار محمد عبده لندن بدعوة من صديقه الإنجليزي مستر بلنت[3] فدافع فيها عن حقّ مصر في جلاء الإنجليز عنها[4]، حيث كانت الثورة المهدية في السودان ، والإنجليز لم يُثبّتوا أقدامهم في مصر، ووعودهم بالجلاء تتواصل ، فلعلّ في رجال الإنجليز من أعضاء البرلمان من يصغي إلى صوت الإنسانية وحقّ البلاد في الإستقلال[5].

ثمّ ما لبث أن التقى بعدد من رجال السياسة البريطانية ، وجرت بينه وبينهم أحاديث مسهبة حول المسألة المصرية نشر بعضها في صحف لندن ، أهمها مناقشة خطيرة دارت بينه وبين اللورد هرتنكتون وزير الحربية الإنجليزي[6]، كان مفادها تناول اللورد أهل مصر بما يقلّل من شأنهم ويطعن في استحقاقهم وأهليتهم للحرية والاستقلال ، فغضب محمد عبده لوطنه وحريته وأكّد رفض طبيعة هذا الوطن لسلطة الحكم الأجنبي ، ويدلّل على أهلية هذه البلاد للحرّية وحقّها في طرد قوات الاحتلال ، فيقول مخاطبا الوزير الإنجليزي : « إنّ

---

1) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 25 .

2) - محمد الصياد : مرجع سابق .

3) - مستر ألفريد سكاون بلنت أحد رجال الإنجليز صديق الشيخ محمد عبده ، نشأ في أسرة عريقة في الغنى والجاه ، وبدأ حياته السياسية وهو لا يزال فتيا ، فعُيّن في الثامنة عشر من عمره ملحقا بالوكالة الإنجليزية في أثينا ، ثمّ بقي يتنقّل في المناصب بعد ذلك اثنتي عشرة سنة في الوكالات والسفارات الإنجليزية في طول أوروبا وعرضها إلى أن اعتزل خدمة الحكومة في سنة 1859 م ، زار تركيا ، الجزائر، مصر، سوريا ، العراق ، الهند ، اليمن ، السويس ، السعودية ، ...

- ينظر: ألفريد سكاون بلنت : **التاريخ السرّي لاحتلال إنجلترا مصر** ، راجعه ووافق عليه الشيخ محمد عبده ، مكتبة الآداب : القاهرة ، 2008 ، ص 5 .

4) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

5) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 307 .

6) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

المصريين قوم عرب ، وكلّهم مسلمون إلاّ قليلا ، وفيهم من محبي أوطانهم مثل ما في الشعب الإنجليزي ، فلا يخطر ببال أحد منهم الميل إلى الخضوع لسلطة من يخالفه في الدين والجنس ، إنّ النفرة من ولاية الأجنبي ونبذ الطبع لسلطته ممّا أودع في فطرة البشر، وليس بمحتاج للدرس والمطالعة ، وهو شعور إنساني ظهرت قوّته في أشدّ الأمم توحشا »[1].

كان محمد عبده – وقد عاد إلى عمامته – في البرلمان الإنجليزي يحدّث أعضاءه ، ويحدّث رجال السياسة ، ورجال الصحافة ، وهو في كل ذلك وطنيّ مصري مخلص يطلب الجلاء والوفاء بالوعود ، ويوضّح حقيقة الحال في الثورة العرابية ودسائس الأوروبيين فيها وكراهية الشعب للحكم الأجنبيّ ، وأنّهم يفضّلون استبداد الحكام من أهلها على الأجنبيّ من غيرها مهما كانت سيرته ، ويهدّد بأنّ المصريين سوف لن يدفعوا الضرائب ، وسيجعلون حكم الأجانب مستحيلا ، سواءا كانوا إنجليزا أم فرنسيين ، ويقرّر أنّ انتشار الأمية في مصر لم يفقد أهلها الشعور الطبيعي برغبتها أن تحكم نفسها ، والإسلام الذي بين جوانحها يُحرِّم عليها الاستسلام لغيرها[2].

ثمّ واصل محمد عبده لقاءاته مع أعضاء مجلس العموم بمساعدة زميله بلنت الذي نزل ضيفا عليه في منزله ، ثمّ أجرى بلنت معه حوارا نشرته جريدة (بول ميل جازيت صن) في أوت 1884 م[3]، خاطب فيه الإنجليز بقوله : « إنّنا نرى أنّ انتصاركم للحرّية إنّما هو انتصار لما فيه مصلحتكم ، وأنّ عطفكم علينا كعطف الذئب على الحمل ، ولقد قضيتم على عناصر الخير فينا لكي تكون لكم من ذلك حجّة للبقاء في بلادنا ، لم لا تغادرون بلادنا في الحال ؟! لقد علّمنا الإنجليز شيئا واحدا هو التضامن في مطالبتكم بالجلاء ، شكونا من الأتراك لأنّهم أجانب عن وطننا ، وأردنا لبلادنا إصلاحا وتقدما كتقدم الأوروبيين في طريق الحرّية ، لكنّنا الآن نعلم أنّ هناك ما هو شرّ من استبداد الحكام ، وشرّ من ظلم الأتراك ،

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 88 ، 89 .

2) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 307 .

3) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

وليس في مصر من بلغ به الظلم حدّا يرجو معه مساعدتكم ، إنّ لنا إليكم رجاءا واحدا ، وهو أن تغادروا بلادنا حالا إلى غير رجعة »[1].

5- ذهابه إلى تونس :

وبعد نحو شهرين من نشر حوار مستر بلنت مع محمد عبده توقفت جريدة العروة الوثقى في 16 أكتوبر1884 م ، حيث يئس محمد عبده من العمل السياسي المباشر كوسيلة لنهضة الشرق فغادر باريس إلى تونس[2]، ثمّ واصل الطريق مع أستاذه لمحاولة إنشاء فرع للجمعية فيها ، والتقى بعدد من العلماء ورجال الدين هناك مثل الورطاني وأبو حجاب والسنوسي[3] فوافقوا على طلبه ، وشرع فعلا في تأسيس الجمعية هناك ، لكن وقف المال عائقا في سبيل تحقيق هدفه ، فطرق جميع الأبواب ولكن دون جدوى ، وبعد أن تبيّن له أنّ مهمّته في تونس لن يقدّر لها النجاح فكّر في العودة إلى بيروت حيث زوجته وأولاده هناك ، وكان ذلك في عام 1885 م[4].

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 88 .

2) - نفسه ، ص 29 .

3) - هو محمد بن علي بن السنوسي (1202 – 1276 هـ / 1787 – 1859 م) ، أبو عبد الله السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي مؤسس الطريقة السنوسية ، وتنسب إليه الدولة السنوسية ، ولد ببلدة مستغانم الجزائرية ، تعلّم على يد علماء مسقط رأسه ، ثم ارتحل طالبًا المزيد من العلم في فاس الذي برع فيه ، وعين مدرسًا بالجامع الكبير بفاس ، ودرس الصوفية على يد الشيخ عبد الوهاب التازي ، وجاب مناطق الصحراء واعظًا ودارسًا لأحوال الطرق الصوفية ، ومدارسة العلماء ، وتجوّل في كثير من البلدان الإسلامية ، فقد زار تونس ، طرابلس ، برقة ، مصر، الحجاز واليمن ، وأنشأ أول زاوية له في جبل أبي قبيس بمكة المكرمة ، ثم عاد إلى برقة سنة 1255 هـ / 1839 م ، وأقام بالجبل الأخضر فبنى الزاوية البيضاء ، انتشرت طريقته فارتابت الحكومة العثمانية في أمره فضايقته ، فانتقل إلى واحة جغبوب بجنوبي ليبيا حتى توفاه الله مخلفًا وراءه نحو أربعين كتابًا ورسالة .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

4) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

المبحث الخامس : عودته إلى مصر :

وبالرغم من أنّ مدّة نفي محمد عبده التي حكم عليه بها كانت ثلاث سنوات فإنّه ظلّ في منفاه نحو ستّ سنوات ، فلم يكن يستطيع العودة إلى مصر بعد مشاركته في الثورة على الخديوي توفيق ، واتهامه له بالخيانة والعمالة ، ولكن بعد محاولات كثيرة ووساطة لعدد من الساسة والزعماء[1] أمثال تلميذه سعد زغلول ، وإلحاحه على الأميرة نازلي هانم فاضل كي تستخدم نفوذها عند اللورد كرومر كي يعفو عنه ، وسعى لذلك أيضا الشيخ علي الليثي والغازي أحمد مختار باشا وكيل السلطان بالقاهرة لكي يأمر الخديوي توفيق بأن يصدر العفو عنه ، فصدر العفو عنه سنة 1889 م / 1306 هـ[2]، وآن له أن يعود إلى مصر بعد أن اشترط عليه اللورد كرومر ألاّ يعمل بالسياسة فقبل محمد عبده بذلك[3]، وكان يراوده حلم دائماً بمحاولة الإصلاح في المؤسسات الإسلامية ومحاولة النهوض بالتعليم وتطويره[4].

لمّا عاد محمد عبده من منفاه لمصر عاد إليها أقوى سلاحا وأمتن علما ، وأشدّ رغبة في الإصلاح الذي بدأ حياته بالدعوة إليه[5]، حيث رجع إلى رغبته الأولى وهي الإصلاح في مجال الفكر الديني الإسلامي ، وإصلاح مؤسساته كما وضّح اهتمامه بقضايا الإصلاح الإجتماعي والتربوي وتطوير اللغة العربية[6].

ويعتبر عام 1889 م نقطة تحوّل في تاريخ حياة محمد عبده ، ففيه عاد إلى مسقط رأسه مصر، وفيه أيضا اعتزل الحياة السياسية كلية وأمسك عن الخوض في المسائل السياسية ، وكرّس حياته للخدمة العامّة وللإصلاح الديني والاجتماعي بصفة خاصة ، وكان

---

1) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

2) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 32 .

3) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

4) - عبد الرحمان بن خلدون : مرجع سابق .

5) - محمد الصياد : مرجع سابق .

6) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

يرى نقطة البدء يجب أن تكون من الأزهر، وأن يكون إصلاح نظام التعليم فيه وإخراجه من الجمود الذي ضرب حوله أوّل ما يتّجه إليه التفكير، وقد واتته هذه الفرصة عندما عيّن عضوا في مجلس إدارة الأزهر[1].

ماذا يصنع محمد عبده في مصر وقد عاد إليها ؟ إنّ مصر التي يدخلها اليوم غير مصر التي تركها[2].

كان كل شيء قد أصبح في يد الإنجليز، وكان أهمّ أهداف محمد عبده إصلاح العقيدة ، الإصلاح التربوي ، والعمل على إصلاح المؤسسات الإسلامية كالأزهر، الأوقاف والمحاكم الشرعية هو الطريق الفعّال لنهضة الأمّة بعد أن فشل العمل السياسي في تحقيق ذلك ، ومن مقولاته المشهورة في هذا الشأن : « لعن الله ساس ويسوس وسياسة » ، واتّخذ محمد عبده قراره بمصالحة الخديوي حتى يتمكّن من تنفيذ برنامجه الإصلاحي الذي يطمح إلى تحقيقه ، والاستعانة بالإنجليز أنفسهم إذا اقتضى الأمر ذلك ، فوضع تقريرا بعد عودته حول الإصلاحات التي يراها ضرورية للنهوض بالتعليم ، ورفعه إلى اللورد كرومر نفسه ، فحقيقية الأمر التي لا جدال فيها أنّه كان القوّة الفاعلة والحاكم الحقيقي لمصر[3]، لذا اضطرّ محمد عبده لمهادنته .

ولهذا نجد البعض يتّهمه بالنقص في وطنيته ، ولكنّنا نرى أنّ السبب في ذلك ليس نقصا في وطنية محمد عبده أو تواطئه مع الاحتلال ، وإنّما للظروف الحضارية والتاريخية التي شكّلت شروط التفاعل بينه وبين واقعه ، فقد رأى محمد عبده أنّ الجانب الأهمّ من المشكلة الحضارية لا يتمثّل بالاستعمار العسكري بل بالتخلف الحضاري ، وهو الذي أعطي المبرّر

---

1) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 109 .

2) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 311 .

3) - عبد العاطي محمد أحمد : **الفكر السياسي للإمام محمد عبده** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1978 ، ص 122 .

ومهّد الطريق للاستبداد والاستعمار، ولو كانت الأمّة متحرّرة من قيود التخلف والجهل لما تمكّن الحكام من استعبادها ولما دخل الاحتلال أراضيها .

لقد رأى محمد عبده أنّ المرحلة الأولى من الإصلاح تتمثل في الإصلاح التربوي ، والإصلاح الديني ، وتحرير الدين ممّا علق به من شوائب ومفاهيم خاطئة ، وفي ذلك كان يقول : « آن [كذا] الدين في ثلاث : جاهل به ، ومغالي فيه ، وشخص امتزج معه بقلبه ، ولكن ضاقت سعة عقله عن تصريفه تصريف الأنبياء له »[1].

عندما توفي الخديوي توفيق عام 1892 م وتولّى الخديوي عباس[2] الحكم – الذي كان متحمسا لمناهضة الإنجليز– سعى محمد عبده إلى توطيد علاقته وتوثيق صلته به ، فاستطاع إقناعه بخطّته الإصلاحية التي تقوم على إصلاح الأزهر، الأوقاف والمحاكم الشرعية ، وصدر قرار بتشكيل مجلس إدارة الأزهر برئاسة الشيخ حسونة النواوي ، حيث تمّ تعيين محمد عبده عضوا فيه ، وهكذا أتيحت له الفرصة لتحقيق حلمه بإصلاح الأزهر وهو الحلم الذي تمنّاه منذ أن وطئت قدماه ساحته لأوّل مرّة[3].

لكن علاقة محمد عبده بالخديوي عباس لم تستمر على ما هي عليه ، بل كان يشوبها شيء من الفتور الذي ظلّ يزداد سوءا على مرّ الأيام ، خاصة عندما اعترض على ما أراده الخديوي من استبدال أرض من الأوقاف بأخرى له ، إلاّ إذا دفع الخديوي للوقف عشرين

---

1) - محمود سلامة محمود الهايشة : **<u>الإمام المصلح محمد عبده ، مائة عام على وفاته</u>** ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد 2219 ، 2005 ، ص 5 ، 6 .

2) - بعد وفاة أبيه توفيق باشا سنة 1309 هـ / 1892 م كان شابا لم يجاوز سنّه سبع عشرة سنة ، وقد تعلّم في النمسا بمدرسة يتعلّم فيها أبناء الملوك والأمراء ، فتأثّرت نفسه بتلك البيئة التي قضى فيها مدة طلبه للعلم فيها ، فلمّا تولّى بعد أبيه الحكم أراد أن يكون له سلطة فعلية في حكم مصر، وأبى لأن يرضى بما كان يرضى به أبوه من استئثار الإنجليز بالسلطة الفعلية في مصر، ورأى أنّ خير وسيلة توصله إلى ذلك بأن يضمّ إليه ذوي الزعامة من المصريين ، فتوجّه نظره إلى الشيخ محمد عبده لأنّه كان أقوى تلامذة أستاذه جمال الدين الأفغاني ، وكان قد عاد من منفاه إلى مصر سنة 1306 هـ / 1889 م ، فقرّبه عباس باشا إليه ليساعده في الوصول إلى مأربه في مناهضة الإنجليز.

– ينظر: محمد الصياد : مرجع سابق .

3) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

ألف فرقا بين الصفقتين ، وتحوّل الموقف إلى عداء مع الخديوي حاول خلالها النيل من محمد عبده بكل الطرق ، من خلال المؤامرات والدسائس التي تحاك ضدّه ، وبدأت الصحف تشنّ هجوما قاسيا عليه لتحقيره والنيل منه ، ولجأ خصومه إلى العديد من الطرق الرخيصة والأساليب المبتذلة لتجريحه وتشويه صورته في الصحف وأمام الشعب ، ممّا أدّى به في النهاية إلى تقديم استقالته من مجلس إدارة الأزهر في مارس 1905 م / 1323 هـ[1] احتجاجا على مؤامرات الخديوي عباس التي حال بها دون سير الإصلاح في هذه الجامعة الكبيرة[2].

كانت مدّة نفي محمد عبده التي حكم عليه بها ثلاث سنوات ، ولكنّه مكث في المنفى نحو ستّ سنين ، لأنّ الأمر لم يكن حكما بالنفي فقط بل كان أكثر من ذلك ، غضب الخديوي توفيق عليه ، إذ كان ممّن اتّهم في الثورة العرابية بجهره بخلع الخديوي ، وربّما كان هذا هو السبب الحقيقي في محاكمته دون غيره ممّن اشتركوا في الثورة العرابية مثل اشتراكه ، وقد قرّر محمد عبده هذا أثناء حديثه وهو في إنجلترا مع بعض مكاتب الجرائد ، فقد سأله كاتب (البول ميل جازيت) عن رأيه في الخديوي ، فقال محمد عبده : « إنّ توفيق باشا أساء إلينا أكبر إساءة ، لأنّه مهّد لدخولكم بلادنا ، ورجل مثله انضمّ إلى أعدائنا أيام الحرب لا يمكن أن نشعر نحوه بأدنى احترام ، ومع هذا إذا ندم على ما فرط منه وعمل على الخلاص منكم ربّما غفرنا له ذنبه ، إنّنا لا نريد خونة وجوههم مصرية وقلوبهم إنجليزية »[3].

---

1) - أمل الشريف : مرجع سابق .

2) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 32 .

3) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 309 ، 310 .

المبحث السادس : حياته العملية (أهم المناصب التي شغلها) بعد عودته :

1- محمد عبده قاضيا :

كان محمد عبده يأمل أن يكون ناظرًا لدار العلوم أو أستاذًا فيها – وهو عمله المحبب – بعد عودته إلى مصر، ولكنّ الخديوي والإنجليز كان لهما رأي آخر[1]، حيث أنّ اللورد كرومر لم يكن لديه استعداد لتركه يعمل وذلك خوفا من إمكانية تأثيره مجددا في الشبيبة[2]، أو حتى لا يتيح له فرصة تربية الأجيال الجديدة على أساس من آرائه وأفكاره[3]، ولذلك فقد تمّ تعيينه في سنة 1889 م قاضيا أهليا في محكمة بنها كي يبعده عن القاهرة وعن التدريس فقبل على مضض ، ثمّ انتقل إلى محكمة الزقازيق ، ثمّ محكمة عابدين ، ثمّ ارتقى إلى منصب مستشار في محكمة الاستئناف الأهلية عام 1891 م[4]، ثمّ مستشارا في نظارة الحقّانية ، وقد أبدى في مجال القضاء اجتهادا في فهم قواعد القانون ، وأدخل روح التحرير والإصلاح فيها ، وركّز جهوده على إصلاح المؤسسات الدينية الثلاث آنذاك وهي الأزهر، الأوقاف والمحاكم الشرعية[5].

بدأ محمد عبده يتعلّم اللغة الفرنسية وهو قاضٍ في محكمة عابدين – وكانت سنّه حينئذ قد شارفت على الأربعين – حتى تمكّن منها وأتقنها تحدثا ، قراءة وفهما ، فاطّلع على العديد من الكتب والقوانين الفرنسية وشروحها ، كما قام بترجمة كتاب في التربية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ترجمة تدلّ على تمكّنه من تلك اللغة[6]، وكان يكمل تعلّمه

---

1) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 26 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 32 .

4) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

5) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

6) - عثمان أمين : مرجع سابق ، ص 110 .

الفرنسية برحلاته إلى سويسرا وفرنسا ، ويستمع إلى بعض المحاضرات ويقابل بعض العلماء ، وكما يقول هو : « ليجدّد نفسه » .

وقد امتاز محمد عبده في قضائه بتحرّيه الحقّ وتقديره للعدالة أكثر مما يقدّر نصوص القانون ، ويرجع هذا إلى سعته الفقهية ودراسته للشريعة الإسلامية ، وعدم تشكّله تماما بالقلب القانوني ، ولذلك شكا بعض زملائه من أنّه يتحرّر من النصوص القانونية ، ولمّا سئل في هذا اعترف به ودافع عن وجهة نظره[1].

2- محمد عبده مفتيا :

في 3 جوان 1899 م / 24 محرم 1317 هـ صدر مرسوم خديوي ، وقعّه الخديوي عباس حلمي الثاني بتعيين محمد عبده مفتياً للديار المصرية وهذا نصه : « صدر أمر عال من المعية السنّية بتاريخ 3 يونيو 1899 م / 24 محرم 1317 هـ نمرة [كذا] 2 سايرة [كذا] ، صورته فضيلة حضرة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية بناءا على ما هو معهود في حضرتكم من العلاّمية وكمال الدراية ، قد وجهنا لعهدتكم وظيفة إفتاء الديار المصرية ، وأصدرنا أمرنا هذا لفضيلتكم للمعلومية ، والقيام بمهام هذه الوظيفة وقد أخطرنا الباشا رئيس مجلس النظار بذلك »[2].

كان منصب الإفتاء يضاف لمن يشغل وظيفة مشيخة الجامع الأزهر في السابق ، وبهذا المرسوم استقلّ منصب الإفتاء عن منصب مشيخة الجامع الأزهر، وصار محمد عبده أوّل مفتي مستقل لمصر معين من قبل الخديوي عباس حلمي[3]، وقد بلغ عدد فتاواه 944 فتوى ، استغرقت المجلد الثاني من سجلاّت دار الإفتاء وصفحاته 198 صفحة ، كما استغرقت 159 صفحة من صفحات المجلد الثالث[4].

---

1) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 315 ، 316 .

2) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

3) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

4) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

عند تعيين محمد عبده مفتيا للديار المصرية – كان موضع احترام المصريين وتقديرهم– اتّسع نشاطه ، فشمل نواحي أخرى غير الإفتاء ، فعيّن في 25 جوان 1899 م / 18 صفر 1317 هـ عضوا في مجلس شورى القوانين ، كما أسهم في تأسيس بعض الجمعيات الخيرية الإسلامية[1]، وكان مؤسسا لجمعية إحياء العلوم العربية في عام 1900 م / 1318 هـ فحقّقت ونشرت عددا من آثار التراث العربي الإسلامي الفكرية الهامّة[2]، وشارك في عمل هذه الجمعية باستحضار المخطوطات ، واستكمال نسخها ، ومراسلة الملوك والسلاطين والقضاة لهذا الغرض ، ومقابلة النسخ المخطوطة والشرح والتعليق على هذه الآثار الفكرية الهامة[3].

وبعد أن عيّن محمد عبده مفتيا للديار المصرية في 3 جوان 1899 م خلفا للشيخ حسونة النواوي الذي استقال من هذا المنصب ، وكان من مقتضى منصب الإفتاء أنّ العلامة الماهر الذي كان في مجلس الأوقاف الأعلى أن يكون نبراسا لمجلس الإفتاء ، ليستفتي برأيه في تطبيق أعماله على أحكام الشرع الشريف ، وفي حلّ المشكلات ، ومن اقتراحاته المفيدة أن تشكّلت لجنة تحت رئاسته هي التي وضعت نظاما مفيدا للمساجد وصيانتها والنظر إلى ضروراتها وغير ذلك[4]، وتبعا لمنصب الإفتاء هذا أصبح عضوا في مجلس الأوقاف الأعلى فسعى إلى إصلاحها ، وإصلاح المساجد بوضع وتطبيق اللائحة التي ضمنتها أفكاره لإصلاح هذا المرفق الإسلامي الهام[5].

وقد كانت فتاوى محمد عبده تنبعث من رؤية تنويرية ، عصرية وتربوية ترتكز على ما يلي :

---

1) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 109 .

2) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 34 .

4) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 27 .

5) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 34 .

- ميله إلى العقلانية والتسامح بالعلم ونبذ التقليد .
- إيمانه بحرّية الإنسان واستقلال الإرادة .
- الاهتمام باللغة كوسيلة للتفاعل الحضاري .
- الاعتماد على تفسير روح القرآن الكريم دون التوقف عند حرفيته .

ومن خلال فتاوى محمد عبده وضع أسس دولة المواطنة القائمة على المساواة بغضّ النظر عن الدين أو الجنس من ذكر أو أنثى ، وهذا أعظم إنجاز حضاري قدّمه ، حيث أكّد من خلاله على المساواة بين غير المسلمين والمسلمين في القصاص والدّية ، وتحرير المرأة العربية من قيود التقاليد العربية التي تتعارض مع روح الدين الإسلامي ، مثبتا الحقوق الأساسية لها :

- المرأة إنسان هي شقيقة الرجل .
- إيمان النساء كالرجال .
- جزاء المؤمنات في الآخرة كالمؤمنين .
- مشاركة النساء للرجال في الشعائر الدينية والأعمال الإجتماعية والسياسية .
- مبايعة النبي صلى الله عليه وسلم للنساء كالرجال .
- أمر المرأة بالمعروف ونهيها عن المنكر.
- حقوق النساء المالية والميراث[1].

❖ من فتاويه :

- عن الوقف وقضاياه ، الميراث ومشكلاته ، والمعاملات ذات الطابع المالي والآثار الاقتصادية مثل البيع والشراء ، الإجارة والرهن والإبداع ، الوصاية والشفعة والولاية على القصر، الحكر والحجر والشركة وإبراء الذمة ، ووضع اليد والديون واستقلال المرأة المالي والاقتصادي ، حيث بلغ عدد فتاواه في ذلك 728 فتوى .

1) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 27 ، 28 .

- عن مشاكل الأسرة وقضاياها من الزواج ، الطلاق ، النفقة ، الإرضاع ، الحضانة ، وعدد فتاواه في ذلك 100 فتوى .
- عن القتل ، القصاص والديّة ، وعدد فتاواه في ذلك 29 فتوى .
- فتاوى في موضوعات متنوعة ومختلفة ، وعدد فتاواه في ذلك نحو 87 فتوى .

إنّنا نلاحظ أنّ 80 % من فتاوى محمد عبده تتعلّق بمشكلات خاصة بالحياة المالية والاقتصادية وقضاياها ، ثمّ إنّ محمد عبده ظلّ مفتياً للديار المصرية ستّ سنوات كاملة حتى وفاته عام 1905 م[1].

وهكذا يتّضح طابع التجديد في فتاوى محمد عبده التي ترتكز على الاجتهاد ، وتحقيق دولة المواطنة القائمة على المساواة بغض النظر عن الدين أو الجنس[2].

وفي فترة حياة محمد عبده في الإفتاء سافر إلى خارج مصر عدّة مرات : إلى الشام ، وإلى أوروبا أكثر من مرّة ، أشهرها رحلته إليها سنة 1903 م / 1321 هـ ، ومنها عرج على تونس والجزائر، ثمّ صقلية وإيطاليا ، كما سافر إلى السودان في المدّة التي تنحصر من 18 إلى 31 جانفي 1905 م[3].

لقد قدّم محمد عبده لنا في عهد إفتاءه إصلاح المحاكم الشرعية تقريرا قليلا ، ولكّن أصدر فتاوى ذات شأن كبير، وكتب تفسير (جزء عمّ) وتفاسير لبعض السور القرآنية ولبعض الآيات المشكّلة ، وألّف كتاب (الإسلام والنصرانية) ، وكتب للمجلات والجرائد مقالات قيّمة في موضوعات دينية وغير دينية[4].

وفي جوان 1899 م / محرم 1317 هـ بدأ محمد عبده يلقي دروسه في تفسير القرآن الكريم بالجامع الأزهر، واستمرّ في إلقائها نحو ستّ سنوات ، أي حتى وفاته ، وبلغ في

---

1) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 27 ، 28 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 34 .

4) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 27 .

التفسير من أوّل القرآن حتى الآية 125 من سورة النساء ، وكان محمد رشيد رضا[1] يدوّن ملخصا في الدرس لهذا التفسير، وبعد عام من بدئه أخذت تنشره مجلة المنار (عدد محرم 1318 هـ / ماي 1900 م) ، واستمرّ ينشر فيها شهريا حتى عددها الخامس من سنتها الخامسة عشر (30 جمادى الأولى 1330 هـ / 17 ماي 1912 م) ، وبعد ذلك أخذ رشيد رضا يواصل التفسير منفردا بالعمل فيه[2].

المبحث السابع : وفاته ومؤلفاته :

1- وفاته :

كانت حياة محمد عبده في جميع أطوارها وأدوارها ابتغاءا خالصة لوجه الله وخالصة من شوائب الريّاء وزعزعة الأهواء ، وكذا حاله إلى أن انتقل إلى جوار ربّه الغفور الرحيم لا يرجو غيره ولا يخشى إلاّ إيّاه[3]، فبعد الحملة الشرسة عليه أحسّ بالمرض ، واشتدّت عليه وطأة المرض[4] فعزم على السفر إلى أوروبا للاستشفاء ، ولكن لم يمنعه ذلك من العمل

---

1) - هو محمد رشيد بن علي رضا شمس الدين بن محمد بهاء الدين (1282 - 1354 هـ / 1865 - 1935 م) أحد رجال الإصلاح والفكر الإسلامي في مصر والعالم العربي ، من الكتاب العلماء بالحديث ، الأدب ، التاريخ والتفسير، ولد في قرية القلمون قرب طرابلس الشام ، وتتلمذ على يد الشيخ حسين الجسر صاحب كتاب الرسالة الحميدية ، منح رشيد رضا شهادة العالمية عام 1897 م ، تأثر بأفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده عن طريق جريدة العروة الوثقى ، أصدر جريدة المنار عام 1898 م ، وقد كرّس حياته لمناصرة الإسلام والمسلمين ، ودعا إلى تكوين جمعية إسلامية مركزها مكة المكرمة يمكن من خلالها جمع كلمة المسلمين للوقوف أمام أعدائهم ، وأنشأ جمعية الدعوة والإرشاد ، ناصر رشيد الدولة العثمانية ثم عاداها بعد انقلاب الاتحاديين الأتراك ، ودعا إلى استقلال العرب ووحدتهم ، ومن أثاره جريدة المنار، تفسير القرآن الكريم ، تاريخ الإمام الشيخ محمد عبده ، نداء للجنس اللطيف ، الوحي المحمدي ، محاورات المصلح والمقلِّد ، شبهات النصارى وحجج الإسلام .

- ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .
- وينظر: **المنجد في الأعلام** ، معاجم دار الشرق ، (ط 20) ، دار الشرق : بيروت ، 1969 ، ص 238 .

2) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 34 ، 35 .

3) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 226 .

4) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

في مجلس الشورى ومجلس الأوقاف والجمعية الخيرية الإسلامية ، وامتحان دار العلوم ، وإعداد مشروع مدرسة القضاء ، ثمّ ألحّ عليه المرض واختلف الأطباء في تشخيصه : هل هو المعدة أو الكبد ؟ الذي تبيّن له فيما بعد – مع الأسف – أنّه السرطان فأشاروا عليه بعدم السفر حتى فاضت روحه إلى ربّها[1]، وأنشد في مرض موته كما يروي عنه الأمير شكيب أرسلان[2] تلميذه الشامي هذين البيتين من الشعر:

ولست أبالي أن يقال محمد	أبـــل أم اكتـــظت عليـــه المآتم
ولكنّه دين أردت صلاحـــه	أحاذر أن تقضي عليه العمائـــم[3]

وما لبث أن توفي في الساعة الخامسة مساءا يوم 11 جويلية 1905 م / 7 جمادى الأولى 1323 هـ بالإسكندرية بعد معاناته من مرض السرطان ، عن عمر ناهز ستة وخمسين سنة[4]، وعن ثلاث بنات وعن حياة فكرية خصبة ، وجهود في التربية والإصلاح ، ومواقف تجسّد عظمة الإنسان المصري العربي المسلم ، وكبرياءه لا يمكن أن يموت ، فلقد كان عقلا من أكبر عقول الشرق والعروبة والإسلام في عصرنا الحديث ، والموت إنّما يصيب الأجسام أمّا هذه العقول الفعّالة فهي لا تموت[5]، فهو كان في أوجّ نشاطه .

---

1) - أحمد أمين : مرجع سابق ، ص 315 ، 316 .

2) - هو الأمير شكيب حمود حسن بن أرسلان (1286 – 1366 هـ / 1869 – 1946 م) سياسي ، لبناني ، شاعر، كاتب ، مفكر وعالم ، ولد في الشويفات بلبنان ، وتعلم في مدرستي الحكمة والسلطانية ببيروت ، وأتقن إلى جانب لغته العربية ثلاث لغات أجنبية وهي : التركية ، الفرنسية ، والألمانية ، وعاش مهاجرا ومنفيا في عدّة بلدان منها : تركيا ، مصر، ألمانيا وسويسرا ، وتوفي في بيروت .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

3) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 29 .

4) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

5) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 36 .

وفي الأخير كانت وفاة محمد عبده حدادا عاما للبلاد العربية والإسلامية جميعا ، حيث دفن بالقاهرة [1]، ورثاه العديد من العلماء ، الكتاب ، الأدباء والشعراء[2] بعد أن ترك أعمالا رائدة في مجالات الفكر، وتجديد الفكر الديني ، والإصلاح السياسي والاجتماعي[3].

2- مؤلفاته :

قدّم محمد عبده للمكتبة العربية عدّة مؤلفات عربية بين روح العصر وأصالة الدين ، ومن أهمّ هذه الكتب ما يلي :

- رسالة التوحيد تأليفا وشرحا .
- البصائر النصيرية للطوسي تحقيقا وشرحا .
- دلائل الإعجاز للجرجاني شرحا وتحقيقا .
- أسرار البلاغة للجرجاني شرحا وتحقيقا .
- الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية : وفي هذا الكتاب ردّ به على إرنست رينان سنة 1902 م ، حيث قام بإجراء مقابلة بين الدين الإسلامي والمسيحي ، وأثرهما في العلم والمدنية[4].
- ألّف كتاب (في علم الاجتماع والعمران) .
- قام بكتابة عدد من المقالات في عدد من الجرائد مثل جريدة الأهرام[5].
- الردّ على هانوتو الفرنسي .
- تقرير إصلاح المحاكم الشرعية سنة 1899 م .
- شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

---

1) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

2) - محمد الصياد : مرجع سابق .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - أمل الشريف : مرجع سابق .

5) - صديق السيد : مرجع سابق .

- العروة الوثقى مع معلّمه جمال الدين الأفغاني[1].
- تفسير القرآن الكريم .
- مقالات عديدة في الاجتماع والأخلاق[2].
- مذكرات محمد عبده – هذه المذكرات القيّمة لم تنشر إلى اليوم – وهي من أدقّ ما كتب عن الثورة العرابية وأسبابها ، ولكنّها غير كاملة لأنّ النسخة الخطّية الموجودة تتكوّن من 144 صفحة ، ويقف ذكر الحوادث عند وزارة شريف الأولى في عهد الثورة ، وقد كتبت هذه المذكرات بناء على طلب الخديوي عباس ، ومن أهمّ أقسام هذه المذكرات القسم الذي شرح فيه محمد عبده أسباب الثورة البعيدة في عصر إسماعيل[3].

1) - **محمد عبده (عالم دين)** ، مرجع سابق .

2) - **المنجد في الأعلام** ، مرجع سابق ، ص 622 .

3) - محمد صبري : **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم** ، (ط 1) ، دار الكتب المصرية : القاهرة ، 1926 ، ص 9 .

الفصل الثاني :

مواقف محمد عبده من قضايا عصره

1- موقفه من التربية
2- موقفه من التعليم
3- موقفه من إصلاح اللغة
4- موقفه من حرية المرأة ومن تعليمها
5- موقفه من إصلاح الأسرة
6- موقفه من الممارسات الدينية
7- موقفه من تفسير القرآن الكريم
8- موقفه من أفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني
9- موقفه من السياسة
10- موقفه من الثورة العرابية
11- موقفه من الاستبداد السياسي
12- موقفه من الاحتلال البريطاني
13- موقفه من الدولة العثمانية
14- موقفه من الأديان الأخرى
15- موقفه من الأوضاع الإجتماعية
16- موقفه من إنشاء الجامعة الإسلامية

لقد أسهم محمد عبده في قضايا الأمّة الإسلامية الحديثة بشكل لم يسبق له مثيل على كافّة المستويات الثقافية ، الدينية ، الإجتماعية ، السياسية والوطنية ، وترك للأجيال ثروة علمية ، أخلاقية ، أدبية وتربوية مازالت تشكّل ينبوعا صافيا في الفكر العربي الحديث والمعاصر حتى يومنا هذا ، وقد أدّى البحث ، التنقيب والتحليل في آثاره إلى نتائج هامّة في مسيرة الأمّة حتى الآن ، ولعلّ هذه المقاربة الموجزة في فكر الرجل – على الرغم من أصالته المرجعية – كانت ردّ فعل على الغزو الأجنبي ، والتخلّف الداخلي معا كفيلة بإعطاء نموذج مختزل عن تلك المواقف والإسهامات الكبيرة التي أضافها إلى الثقافة العربية الإسلامية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين في إصلاح مجتمعه من الانحطاط الداخلي الذي أصاب الأمّة لأسباب داخلية أو لعوامل خارجية ، وهو في ذلك يشبه الكثير من قادة العالم الذين غيّروا مجرى التاريخ ، ونقلوا شعوبهم من مرحلة أدنى إلى مرحلة أعلى ، فعند ظهوره كان المجتمع المصري يعاني من وطأة الديون الخارجية ، ومن فساد الحكام ، ومن جمود المؤسسات الدينية والثقافية ، فبدأ ينظر بعين نحو الداخل ويرنو بالأخرى نحو الخارج لإصلاح الأوضاع ، فكانت مواقفه دائما تعبّر عن أفكاره التي أخذنا منها ما يلي[1]:

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

1- مـــوقـفـــــه مـــن التـربـيـــــة :

لقد رأى محمد عبده أنّ إصلاح حال المسلمين وإصلاح مجتمعاتهم يكون بإصلاح الأنفس أولا ، وقد استقى فكرته هذه من كتاب الله تعالى : « **إنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم** »[1]، فكان منهجه هو التدرج في الإصلاح وسلوك طريق التربية البطيء بدلا من طريق الثورة السريع ، كما رأى أنّ التدرج في الإصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن في تحقيق الغاية ، وإنّ التربية المستندة إلى الدين بعد تجديده هي السبيل الوحيد لبلوغ الغاية المرجوّة والتحرر السياسي[2].

ومن المعروف أنّ التربية وحدها لا تكفي إلى اللحاق بالأمم المتقدمة ، إذ لا بدّ لخلق المناخ الصالح للتربية من الدخول في معارك عديدة ضدّ ما يعترض قيام هذا المناخ الصالح من عقبات ومعوقات ، كما لا بدّ من تحديد أيّ أنواع التربية هو الذي يمكّننا من اللحاق بالأمم المتقدمة ، وهو أمر يتوقف على تحديد ماهية التقدم وارتباط معاييره بالعصر الذي نعيشه ، والمهام التي على المجتمع أن ينجزها في هذه المرحلة المحدّدة من مراحل نموّه وتطوّره[3].

ومع ذلك فلقد اقتنع محمد عبده بأنّ تقدّم المجتمع وارتقائه لا يتحقّق إلاّ بالتربية ، وأنّ التقدم لن يكون ثابتا إلاّ إذا سار وئيدا أكيدا ، ومن هنا نفهم لِمَ أَقْلَعَ محمد عبده عن الأساليب الثورية التي لم تحقق شيئا ، وآثر أسلوبا أبطأ ولكنّه أبقى أثرا وهو طريق التربية ، تربية الشعب وتربية القادة ، تربية الشعب لفهم الحياة والسير فيها ، وتربية القادة لتوجيه الشعب في قراه ومدنه[4].

---

1) - **القرآن الكريم** ، سورة الرعد ، الآية : 11 .

2) - زيلوخة بوقرة : **سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – نموذجا –)** ، رسالة ماجستير، جامعة باتنة ، 2009 ، ص 73 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 155 .

4) - محمد البهي : **الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي** ، مطبعة مخيمر: القاهرة ، 1957 ، ص 188 .

وفي موقف آخر من اهتمام محمد عبده بالتربية كتب بعض المقالات فيها ، كما أنّه قام بترجمة كتاب هربرت سبنسر[1] (التربية) عن الفرنسية[2]، وبالتالي فلقد دعا محمد عبده الجرائد إلى الانشغال بتربية العقول والأفكار تربية أساسية تراعي السنن الإلهية بعدم طلب الغايات إلاّ بعد إعداد السبل واستكمال البدايات ، وأن لا تردد أوهاما[3]، وبذلك نجد أنّ محمد عبده أولى في حياته عناية كبيرة بتربية الأمة تربية خاصة ، وإنّها مقدّمة على العمل السياسي[4].

وبذلك لم ينظر محمد عبده إلى التربية تلك النظرة الضيّقة التي تقتصر وظيفتها على تعليم التلاميذ وشحن أذهانهم بالمعلومات والمعارف ، وإنّما نظر إليها من منظور اجتماعي على اعتبار أنّ لها قيمة في حلّ مشكلات المجتمع وتطويره وتحقيق تماسكه ، فالتربية من وجهة نظره هي الأساس الأول لإصلاح المجتمع وتحقيق استقلاله ، وأنّ العمل التربوي يجب أن يسبق الأعمال الأخرى في تحقيق هذه الغاية[5].

وهكذا دعا محمد عبده في هذه الفترة التي كان يعمل فيها بجريدة الوقائع إلى التربية والتعليم كبداية لكل إصلاح ، وعارض المعارضين للحكومة والمطالبين بأكثر من ذلك ، ويبدو أنّ الباحثين استدلّوا من هذا على أنّ محمد عبده غيّر في فكره الإصلاحي حالما

---

1) - هربرت سبنسر (1820 – 1903 م) فيلسوف بريطاني حاول تكوين فلسفة شاملة على أساس الاكتشافات العلمية في عصره ، تأثّر سبنسر كثيرًا بعالم الطبيعة الإنجليزي تشارلز داروين ، حقّق شهرة واسعة كفيلسوف ولكن العلماء أثبتوا فيما بعد أن الكثير من نظرياته كانت خاطئة .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

2) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

3) - السيد عمر : **التنشئة السياسية لدى مدرسة المنار (مقاربة أولية)** ، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث ، القاهرة (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م ، ص 261 .

4) - أنور الجندي : **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي (الموسوعة الإسلامية العربية)** ، (المجلد 4) ، (ط 2) ، دار الكتاب اللبناني : بيروت ، 1983 ، ص 284 .

5) -محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 42 .

انفصل عن أستاذه جمال الدين الأفغاني[1]، فعنى بالجانب التهذيبي وبيان الفضيلة ودعوة المجتمع إليها ، والرذيلة وتحذير المجتمع منها ، كما حثّ على الأخلاق الفاضلة وتجنب الرذائل[2].

وبالتالي قد واجه محمد عبده مشكلة الإصلاح ، فبعد أن أدرك حقيقة الأزمة الحضارية الإسلامية وجد من الضروري أن ينظر إليها بوصفها مشكلة اجتماعية[3]، فنجده يقول في هذا الصدد : « من يريد خير البلاد فلا يسعى إلاّ في إتقان التربية ، وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه بدون إتعاب فكر ولا إجهاد نفس »[4]، وفي موضع آخر أشار إلى أنّ مرجع الارتقاء في عادات الأمّة وأخلاقها هو التربية وليس القانون ، فالتربية هي التي تنمّي وتصلح والقانون هو الذي يحفظ ويحرس[5].

ومن النظرة الشاملة إلى الفكر الذي قدّمه محمد عبده في موضوع التربية نجد أنّ الرجل كان صاحب نظرة مثالية ، غير واقعية إلى هذا الحقل من حقول الإصلاح ، فهو عندما اعتقد أنّ التربية هي العصا السحرية التي تغيّر كلّ شيء ، وتبدّل كلّ سلبي فتجعله إيجابيا ، وتعدّل كل منقوص فتجعله كاملا ، وتطلق كل مقيد فتجعله متحررا فعندما اعتقد ذلك قد أغفل – أو قلّل من شأن – الجوانب الأخرى في حياة المجتمع ، والمشاكل العديدة التي لا بد من أن يسير المصلحون أو الثوار في حلّها جنبا إلى جنب مع الإصلاح التربوي

---

1) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 284 .

2) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : **مدرسة المنار التفسيرية (ملامحها ، آثارها ، نقدها)** ، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث ، القاهرة (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م ، ص 22 .

3) - مالك بن نبي : **مشكلات الحضارة (وجهة العالم الإسلامي)** ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر المعاصر : بيروت ، 2002 ، ص 52 ، 53 .

4) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 37 .

5) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 45 .

والنهضة بالتعليم[1]، ومع ذلك فقد كان عازفا عن العمل العام بقدر ما كان مقبلا على العمل التربوي ، فكان معلما ومربيا بطبيعته[2].

ولكن لا تكفي التربية لوجود حياة أسرية سعيدة ومستقرة ، إذ لا بدّ من حلّ المشاكل الإجتماعية ، الاقتصادية والتشريعية التي تطحن الأسرة وتلقي في طريق سعادتها واستقرارها بالأشواك والعقبات[3]، ورغم ذلك أكّد الباحثون أنّ محمد عبده اختار وسيلة أخرى غير سياسية للإصلاح وهي التربية التي لا خوف منها على الدماء والأرواح[4]، وإذا كانت مهمة تركيزه على التربية فذلك لإعداد إصلاح الفرد ، وهي خطوة على طريق إصلاح المجتمع[5].

ولقد رسم محمد عبده لنفسه طريق التربية ، تربية الشعب وتربية القادة الموجهين ، وهم العلماء لفهم الحياة والسير فيها ، وهذا كلّه جعل أحمد أمين[6] يقول : « إنّ الشيخ محمد محمد عبده هو أساسا مصلحا ومربيا ، وليس ثوريا ولا سياسيا »[7]، فهو بحكم طبيعة

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 155 .

2) - جمال البنا : **القضايا الأساسية للعالم الإسلامي وطرق حلها في نظر مدرسة المنار**، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث ، القاهرة (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م ، ص 125 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 155 .

4) - مفيدة محمد إبراهيم : **عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم** ، (ط 1) ، دار مجدلاوي للنشر: عمان ، 1999، ص 283 .

5) - بركات محمد مراد : **مالك بن نبي فيلسوف الحضارة وشاهد القرن** ، مجلة روى ، السنة الرابعة : العدد 20 ، 2003 ، ص 6 .

6) - أحمد أمين بن إبراهيم (1303 – 1374 هـ / 1886 – 1954 م) أديب ومفكر مصري معاصر، ابتدأ دراسته في مدرسة والدة عباس الأول الابتدائية ، ثمّ الأزهر، ثمّ مدرسة القضاء الشرعي ، عيّن مدرسا بمدرسة القضاء الشرعي ، ثمّ عيّن قاضيا ، ثمّ عميد كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول حتى نال الدكتوراه الفخرية وجائزة فؤاد الأول ، أشهر أعماله : فجر الإسلام ، ضحى الإسلام ، ظهر الإسلام .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

7) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 284 .

شخصيته التي تنفر من التصادم واستخدام القوّة كان ينظر إلى التربية على أنّها السبيل الأساسي للنهوض من حالة التخلف القائمة[1].

2- مـــوقـفـــه مـــن التـعـلـيـــم :

لقد انتقد محمد عبده طريقة التعليم في الأزهر ووصفها بأنّها كانت في أغلبها جامدة وعقيمة ومحصورة في مختصرات لا تهمّ وشروح وحواش وتقارير، كما أنّها لم تكن تصل في أغلبها بالحياة اليومية إلاّ في إطار العبادات ، فضلا على أنّ أغلب مشايخ الأزهر لا يشعرون بما أصاب الإسلام والمسلمين من ركود حضاري وجمود فكري ، وانحصرت أهميتهم على أنفسهم[2]، ولذلك كتب مذكرة في إصلاح التعليم قدّمها إلى السلطات العثمانية بعد إعلان شيخ الإسلام بالآستانة عن صدور إرادة سنّية بإصلاح المدارس والتعليم عن السلطان عبد الحميد[3]، كما دعا إلى الإصلاح التعليمي والتربوي لأهمية ذلك في بناء المجتمعات ، فقدّم اللوائح لإصلاح التعليم في سوريا ومصر[4].

ومن بين ما كتبه من بيروت عام 1887 م / 1304 هـ إلى شيخ الإسلام منبها إلى أنّ الضعف الديني الذي كان يعاني منه المسلمون هو الذي أتاح لشياطين الأجانب سبل الدخول إلى قلوب كثيرين من المسلمين عن طريق التعليم قوله : « فلا ترى بقعة من البقاع إلاّ فيها مدرسة للأمريكانيين أو اليسوعيين[5] أو العزيرية ، أو الفرير أو لجمعية أخرى من

---

1) - سعيد إسماعيل علي : **موقع المسألة التعليمية في مدرسة المنار**، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث ، القاهرة (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م ، ص 191 .

2) - رأفت الشيخ غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية : جامعة الزقازيق ، 1994 ، ص 281 .

3) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 299 .

4) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 21 .

5) - اليسوعيون أعضاء جمعية رهبانية كاثوليكية أسسها القديس أغناطيوس لويولا عام 1534 م ، ويُطلق عليهم أيضًا الجيزويت ، والاسم الرسمي للجمعية هو جمعية يسوع (المسيح) .

الجمعيات الدينية الأوروبية[1]، والمسلمون لا يستنكفون من إرسال أولادهم إلى تلك المدارس طمعا في تعليمهم بعض العلوم المظنون نفعها في معيشتهم أو تحصيلهم بعض اللغات الأوروبية التي يحسبونها ضرورية لسعادتهم في مستقبل حياتهم ، ولم يختص هذا التساهل المحزن بالعامّة والجهال ، بل تعدّى إلى المعروفين بالتعصب في دينهم ، بل لبعض ذوي المناصب الدينية الإسلامية »[2].

وبالتالي فقد عمد محمد عبده إلى إصلاح التعليم في الجامع الأزهر وملحقاته بحسبانه مصدر النهضة الإسلامية ، وحصن الدين ، ومعقل اللغة ، وإنشاء جيل من علماء الدين القادرين على مواجهة العصر، وبذلك فقد كان فهم فكرته في إصلاح الإسلام على هذا النحو[3].

ومن الظروف التي دفعت محمد عبده إلى محاولة إصلاح التعليم في الأزهر منها نشأته الأزهرية ، وما لمسه خلالها من فساد طريقة التعليم بالأزهر التي ضاق بها ، وعدم كفاية وسلامة العلوم التي كانت تدرس فيه ، فضلا على أنّ سياسة الاحتلال التعليمية التي كانت قائمة على تضييق التعليم العام ، وإلغاء المجّانية فيه جعلته يركّز على إصلاح الأزهر باعتباره الباب الذي ظلّ مفتوحا أمام السواد الأعظم من المصريين[4].

وهذا كلّه كان بعد انفصال محمد عبده عن أستاذه جمال الدين الأفغاني حينما حمل العلم الثقافي لا السياسي ، فلمّا استقلّ بنفسه كان عمله في بيروت عملا تعليميا صرفا ، ولمّا عاد

---

1) - وهي عبارة عن مدارس متباينة فيها ما هو إنجليزي أو أمريكي من جهة ، وفيها مدارس مسيحية نسبة إلى اليسوع عيسى عليه السلام ، ومدارس يهودية نسبة إلى عزير ، وهناك مدارس أخرى كالفرير الفرنسية المتواجدة في بيروت التي عمل بها أحمد حسن الزيات في الفترة مابين 1907 – 1914 م وغيرها .

2) - سعيد إسماعيل علي : مرجع سابق ، ص 217 .

3) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 283 .

4) - زكرياء بيومي سليمان : **التيارات السياسية والإجتماعية بين المجددين والمحافظين** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة ، 1983 ، ص 102 .

إلى مصر اعتمد على نشر التعليم والتثقيف بأوسع ما يستطيع[1]، فكتب مقال بعنوان :« العلم وتأثيره في الإرادة والاختيار» الذي نشر بغير توقيع في صحيفة الوقائع المصرية سنة 1881 م أثناء تولّي محمد عبده تحريرها ، ثمّ أعاد رشيد رضا نشره منسوبا لمحمد عبده[2].

وأمّا عن كيفية إصلاح الأزهر فيقول محمد عبده : « ... إنّ نفسي توجّهت إلى إصلاح الأزهر منذ أن كنت مجاورا فيه بعد التَلَقّي على السيد جمال الدين الأفغاني ، وقد شعرت في ذلك فحِيلَ بيني وبينه ، ثمّ كنت أترقَّبُ الفرص فما سَنَحَتْ إلاّ واستشرَفْتُ لها وأَقبلت عليها حتى إذا صادمت الموانع لوَيت ، وصبرت مترقبا فرصة أخرى »[3]، وبذلك فمحمد عبده بعد انفصاله عن جمال الدين الأفغاني عام 1885 م تقريبا كانت دعوته إلى العلم والتربية كأسلوب أساسي في مقاومة النفوذ الأجنبي[4].

وقد تميزت دعوة محمد عبده في إصلاح التعليم بالأزهر بالشجاعة والجرأة ، فلم يكن يتهيّب الحكام أو يخشاهم ، بل استخدم معهم الحجّة والمنطق لإقناعهم بضرورة إصلاح التعليم بالأزهر، فقد بيّن للخديوي عباس حلمي الثاني أهمية إصلاح الشُعب الثلاث المتصلة بالدين ، وهي : الأزهر، الأوقاف والمحاكم الشرعية ، فهي هيئات لا شأن للإنجليز بها ، وفي صلاحها صلاح للأمّة وتقوية لمركز الخديوي ، وليكن البدء بالأزهر، واقتنع الخديوي برأيه وأصدر قرارا بتشكيل مجلس إدارة للأزهر لإصلاح التعليم فيه سنة 1895 م ، وكان محمد عبده من بين أعضائه ، وبذلك أتيحت له الفرصة لإصلاح الأزهر الذي تمنّاه من يوم أن كان مجاورا ساخطا على سوء حاله[5].

---

1) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 288 .

2) - Ali Shalash : **The Unknown Works Of Jamal Eldine Al-Afghani** , Riad El-Rayyes Books: London , 1987 , p 13 .

3) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 313 .

4) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 274 .

5) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 202 .

وحين فكّر محمد عبده في تحديث التعليم في جامعة الأزهر وجد أنّ محاولة التحديث داخل الأزهر قد تأخذ وقتا طويلا ومقاومة لا يعلم أحد مداها ، ففكّر في إنشاء مدرسة مستقلة للتعليم العالي تجمع بين العلم القديم والعلم الحديث ، متضمنة الفقه ، التفسير والأدب إلى جانب علوم الطبيعة ، الرياضيات ، التاريخ والجغرافيا ، وقد سمّيت مدرسة القضاء الشرعي ، وهذه المدرسة العظيمة كانت تعتبر تطويرا كبيرا في نوعية التعليم في العلوم الإنسانية في مصر، ونقلة كبيرة من التعليم الأزهري إلى تعليم متطور وحديث ، لكنّه كان يحافظ في نفس الوقت على دراسة العلوم الدينية[1]، وبالتالي فمحمد عبده كان يدعو إلى العلم كوسيلة لمقاومة الاستعمار والنفوذ الأجنبي[2].

ورغم ذلك كان محمد عبده معنيا بإقامة جامعة بعد أن يئس من إمكانية إصلاح نظام التعليم بالأزهر وتطويره ، ورأى أنّ إقامتها إنّما تكون بجهود الأغنياء الذين نعى عليهم بُخلهم ، غير أنّه استطاع إقناع المنشاوي باشا بالفكرة ، فأبدى استعداده لإقامة الجامعة على نفقته بأراضيه بقرية بسوس (قرب القناطر الخيرية) ، ولكنّ وفاة المنشاوي باشا عصفت بالفكرة ، ثمّ لحق به محمد عبده بعد ذلك سنة 1905 م[3].

لقد كان عمل محمد عبده في مجال إصلاح الأزهر بعيد المدى ، فقد أدخل تعليم الحساب ، الجبر، الهندسة والتاريخ في الأزهر، وكان إيمانه بأمرين لا يبلغهما إيمان إصلاح الحكومة ، وتربية الأجيال[4].

ودائما في مجال التعليم نجد أنّ علي دبوز شهد على أنّ مصر في عهد الشيخ محمد عبده كانت في أحسن أحوالها خصوصا إذا تعلّق الأمر بالعلم ، الأدب ، وحرّية القول والنشر، لكنّ هذا الرأي يحتاج إلى بحث ، تحليل ، دراسة ونقد ، فكيف لمصر وهي تحت

---

1) - محمد أبو الغار: **إهدار استقلال الجامعات (دراسة)** ، كتاب إلكتروني ، جامعة القاهرة ، ص 12 .

2) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 287 .

3) - رؤوف عباس أحمد : **تاريخ جامعة القاهرة** ، كتاب إلكتروني ، دار النشر الإلكتروني ، ص 52 .

4) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 281 .

نيرة الإستعمار من جهة وأن تكون في نفس الوقت في أحسن أحوالها ، وهذا على حساب قوله : « لقد أتت نهضتها الحديثة المباركة التي ابتدأت في عهد محمد علي الكبير، وأنعشها بعض حفدته في هذا العهد وبعده ، وأثمرت مساعي أعلام الإصلاح في مصر على يد الشيخ محمد عبده ، فكثرت مدارسها العربية المختلفة ، ونشأت جامعاتها المباركة ، وازدهر الأزهر بفضل المصلحين له وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده وتلاميذه من بعده ، فتخلّص من كثير من جموده ، واختار الكتب النافعة للدراسة ، والطرق الناجعة في التدريس ، فكثُر فيه المدرسون العلماء الماهرون المخلصون ، فسطع نجمه وظهرت نتائجه العظيمة ، وأنجب طبقات العلماء الفحول والأدباء البلغاء فاتجهت إليه الأنظار من العالم الإسلامي ، فتدفقت عليه البعثات العلمية من أنحائه وكثر طلابه ، ودخل في أحسن عهوده »[1].

إنّ محمد عبده قد اتجه إلى إصلاح التعليم في الأزهر، وعليه فقد اتجه إلى تناول المشكلة في مرحلتها الفكرية ، وحول هذا الإصلاح يعلق مالك بن نبي[2] عن محمد عبده في قوله : « ... حسناته تحطيم التعادل الخامد الذي استقرّ عليه ما بعد الموحّدين ، قد اتجه بصفة خاصة إلى الذكاء ، وبعبارة أخرى أدّى بالمشكلة إلى المرحلة الفكرية من الحضارة ، فهو بذلك يتخطّى مرحلة جوهرية من مراحل التطور هي : المرحلة الروحية التي تؤدي إلى تغيير الفرد ، إلاّ أنّها تؤدي إلى تغيير يمكن أن تتعرض له القيم الإجتماعية ، فالرجوع إلى السلف وهو المبدأ الذي نادت به الحركة الإصلاحية التقليدية »[3].

---

1) - أقيس خالد : **آثار العربي التبسي (دراسة فنية)** ، رسالة ماجستير ، جامعة قسنطينة ، 2007 ، ص 25 ، 26 .

2) - مالك بن نبي (1323 – 1393 هـ / 1905 – 1973 م) أحد أعلام الفكر الإسلامي العربي في القرن العشرين ، ولد في مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري وتعلّم بها ، سافر إلى باريس ، القاهرة ، ... وتقلّد عدّة مناصب إلى أن توفي رحمه الله مخلفا وراءه مجموعة من الأفكار القيمة والمؤلفات النادرة .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

3) - محمد دراجي : **ملامح المنهج الإجتماعي في التعامل مع القرآن الكريم عند مالك بن نبي** ، مجلة روى ، السنة الرابعة : العدد 20 ، 2003 ، ص 45 .

إنّ أكثر كتابات هذه المرحلة أهمية على المستوى المعرفي الفكري كانت كتابات محمد عبده في جريدة الوقائع المصرية فيما بين (1879 – 1882 م) ، حيث كان في تلك الكتابات يخطط في الحقيقة للدولة القومية الحديثة على أساس تنمية الدولة القائمة في عصره وتحويلها من دولة تنتمي إلى القرون الوسطى إلى دولة قومية وحديثة معا[1].

ولقد بدأ محمد عبده في ظلّ إندفاعة الاستعمار العنيفة التي تمثّلت في احتلال الجزائر، مصر وتونس أنّ أسلوب العمل يجب أن يتغيّر، وأن يكون المخطط قائما على خطّة واسعة مرنة قوامها العمل في مجال التعليم ، التربية والثقافة ، ومن هنا كانت دعوة محمد عبده التي أذاعها في مصر، تونس والجزائر حينما حذّر من السياسة ، وحين نصح بنقل مجال المعركة كلّها إلى مجال الثقافة والتعليم ، وبذلك حقّق نتائج بعيدة المدى في خلال السنوات العشر الأخيرة من حياته (1896 – 1905 م)[2].

وفي الأخير نستنتج أنّ مجهودات محمد عبده مجهودات ضخمة تضطلع بها اليوم أجهزة كبيرة في دول العالم لوضع خطط نظرية لتطوير التعليم في شتّى مستوياته ، ولتطوير الأزهر والقضاء[3]، كما اعتبر أنّ العلم صديقا للدين إذ لا موضع لتصادمهما ، فلكلّ منهما وظيفته التي يؤدّيها ، وهما حاجتان من حاجات البشر لا غنى لإحداهما عن الأخرى[4].

---

1) - سامي خشبة : **تحديث مصر (قراءة نقدية ومستقبلية)** ، كتاب إلكتروني ، ص 29 .

2) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 281 .

3) - عبد الحكيم العبد : **الفكر السياسي الغربي والقومية المحافظة في الشرق** ، (ط 2) الإلكترونية مزيدة ومنقحة ، كتاب إلكتروني ، 2006 ، ص 110 .

4) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 285 .

3- موقفه من إصلاح اللغة :

لقد قام محمد عبده بإصلاح أساليب اللغة العربية – التي كانت متداولة في زمنه – سواءا كانت في المخاطبات الرسمية أو في المراسلات بين الناس ، وكانت أساليب الكتابة في مصر تتّسم بـــ :

النوع الأول : ما كان مستعملا في مصالح الحكومة ، وهو ضرب من ضروب التأليف بين الكلمات غير المتجانسة ، والتي لا يمكن ردّها إلى لغة من لغات العالم لا في صورته ولا في مادته .

النوع الثاني : ما كان يستعمله الأدباء والمتخرجون من الجامع الأزهر، وهو ما كان يراعى فيه السجع وإن كان باردا ، وتلاحظ فيه الفواصل وأنواع الجناس وإن كان رديئا في الذوق ، بعيدا عن الفهم ثقيلا على السمع ، غير مؤدي للمعنى المقصود[1].

وبالتالي فإنّ منهج محمد عبده في الإصلاح اللغوي كان بتحرير اللغة من الشكليات ، الزخارف ، المحسنات والسجع الذي لا يضيف إلى المعنى شيئا[2]، ومن بين أهمّ أعماله تجديد شباب اللغة العربية بإصلاح أساليبها ، فكان عمله في إصلاح اللغة على درجتين :

إحداها : إلقاء دروسه كلّها باللغة العربية الفصحى الممتازة برشاقة التعبير وبلاغة التأثير.

والأخرى : مقالاته وكتاباته[3].

لقد كان محمد عبده يرى أنّ أهمّ أهداف مؤسسات التربية والتعليم وأجهزة الثقافة التوجه إلى إصلاح اللغة العربية وتطويرها ، فاللغة العربية هي أساس فهم الدين ، وأنّ حياة

---

1) - محمد الصياد : مرجع سابق .

2) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

3) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 284 .

المسلمين بدون إصلاح لغتهم من المحال ، فإصلاح اللغة غاية ينبغي أن تعمل مؤسسات التربية وأجهزة الثقافة على تحقيقها لأنّها وسيلة لإصلاح الدين[1].

إنّنا نجد أنّ مذهب محمد عبده الناقد في تحصيل مادة اللغة أنّها تحصيل ملكية وليست بتحصيل قاعدة ومصطلحات ، لأنّ دقائق الفصاحة والبلاغة ، وبراعة التعبير تحيي الفهم ، وترك الاشتغال بها موت للحياة العقلية ، فكان يقول دائما : « إنّ الكلام البليغ سهل على الفطرة ، ولكنّه صعب على كل عقل ، ولا قدرة للأديب على القصد في التعبير بغير توفير مادته من اللغة ، ولا خير في المبالغة ، فإنّما يأتي بالمبالغة من كان مجازفا في رأيه ، والعقل السليم لا يتعدّى الصدق »[2].

ولقد كان محمد عبده يرى بالإضافة إلى تجديد الأدب والعناية باللغة وتعليم فنونها وآدابها ، وإتقان الكتابة والخطابة ضرورة تحقيق إصلاح فوق هذا الإصلاح ، ومن ذلك تأليف المجامع والمعاجم وفلسفة البيان والانتقاد ، بل له دوره في حركة إنشاء الجامعة المصرية قبل وفاته ، مما آذن بتحقيق نهوض علمي وأدبي وقانوني وسياسي يتكامل في مصر والشام ، رغم ما سيطرد من سياسة الإعاقة الاستعمارية النكدة للتعليم في الشرق[3].

وبذلك أولى محمد عبده إصلاح أساليب اللغة العربية في المخاطبات الرسمية ، وفي الصحافة أهمية خاصة لأنّ اللغة الصحيحة هي شرط تأدية المعنى المقصود[4]، وكما حرّر التفكير من القيود التي جنت عليه ، حرّر أسلوب الكتابة من قيود التكلّف ، وبهذا أتاح للمفكرين والكتاب أن يكتبوا مطمئنين إلى فتاواه وآرائه[5].

---

1) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 121 .

2) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 97 .

3) - عبد الحكيم العبد : مرجع سابق ، ص 112 .

4) - السيد عمر : مرجع سابق ، ص 263 .

5) - عبد الحكيم العبد : مرجع سابق ، ص 110 .

أمّا فيما يخصّ العنصر الجوهري في كتابات محمد عبده الأولى هي الميل إلى الدعوة للعلوم العصرية ، وركّز على تجديد اللغة وإصلاحها والاهتمام بالبحث في الأصول الدينية ، وقد صاغ هذه الموضوعات بأسلوب السجع الذي تخلص منه في الفترات اللاحقة[1]، وفي هذا الصدد يقول : « لقد ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين : ... ، أمّا الأمر الثاني فهو إصلاح أساليب اللغة العربية »[2]، وبذلك كان لمحمد عبده دوره في تحرير اللغة العربية أسلوبا ومضمونا من السجع والمقدمات معا[3].

وبذلك نجد أنّ محمد عبده قد أسهم في تطوير أسلوب أدب المقالة الصحفية ، وقام بتخليصها من أساليب الضعف في نهاية القرن التاسع عشر، والمرء يطمئنّ إلى هذا الحكم كلّ الاطمئنان ، إذا هو قارن هذه القسمات بأبرز كاتبين سبقاه في الكتابة الصحفية ، وهما رفاعة الطهطاوي[4]، وعلي مبارك[5]، فكلاهما كان يسجع بل ويلتزم السجع ، وليس منهما

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

2) - يوسف القرضاوي : **فقه الأولويات (دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة)** ، الدوحة ، 1994 ، ص 180 ، 181 على رابط المكتبة الإلكترونية المجانية : www . fiseb . com

3) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 282 .

4) - رفاعة الطهطاوي (1216 – 1290 هـ / 1801 – 1873 م) مفكر مصري من أركان نهضة مصر الفكرية الحديثة ، ولد في طهطا بصعيد مصر وقصد القاهرة ، فتعلم بالأزهر وأرسلته الحكومة المصرية إماما للصلاة والوعظ (1826 – 1831 م) مع بعثة من الشبّان أوفدتهم إلى فرنسا لتلقّي العلوم الحديثة ، درس رفاعة الفرنسية وقرأ الجغرافيا والتاريخ ، وعند عودته إلى مصر تولى رئاسة الترجمة بمدرسة الطب ، وأنشأ جريدة الوقائع المصرية ، وله العديد من المؤلفات الجغرافية والتراثية ، وأسس الطهطاوي مدرسة الألسن وكان ناظرها ، ويعدّ واحدا من أركان النهضة العلمية العربية ، كما يعدّ من المفكرين التوفيقيين بين التراث الإسلامي والحضارة الوافدة ، وقد توفي بالقاهرة .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

5) - علي مبارك (1239 – 1311 هـ / 1822 – 1892 م) مهندس وعالم ومفكر مصري كبير من أركان نهضة مصر العلمية في العصر الحديث ، ولد بإحدى قرى الدقهلية ، ودرس بمدرسة المهندس خانة .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

من تقاس لغته بلغة محمد عبده سلاسة ، جزالة ودقة في استخدام قواعد اللغة العربية مع تطويعها كي تعبّر عن الآفاق الرحبة لعقل الإنسان العربي الحديث[1].

وفي كل هذا كان محمد عبده الناقد البليغ يوقن أنّ اللغة مادة البلاغة وجمال التعبير، وكان من شواغله الكثيرة شغل واحد لم تشغله عنه مهمة من مهام أعماله المتعددة التي تنوء بالعمل منها كواهل المنقطعين له والمتوفرين عليه ، وذلك الشاغل الواحد هو إحياء اللغة مادة ، علما ، دراسة وكتابة ، فكان يعيّن جماعة إحياء الكتب العربية بعلمه ، وقته ، ماله ونفوذه ، وكان ينشر نماذج البلاغة السلفية[2] ويشرحها بقلمه أو ينوّه بها في دروسه وتفاسيره من قبيل شرح نهج البلاغة ، ومقامات بديع الزمان الهمذاني ، ودلائل الإعجاز وأسرار البلاغة وغيرها من كثير[3].

4- مــوقفـــــه مـــن حرّيـــة المــرأة ومــن تعليمـــها :

كانت المرأة في عصر محمد عبده ممنوعة من بديهيات اليوم : التعليم ، الخروج للعمل والمشاركة في الحياة السياسية والإجتماعية ، الإدلاء بالرأي والجهر بالقول والصدع بالحق ، وكانت واقعة تحت عادات قديمة ما أنزل الله بها من سلطان ، ويُنظر إليها على أنّها متاع فقط[4].

إنّ محمد عبده كان أكثر مسايرة لعصره من غيره – كما يبدو من آثاره – فنجده قد ذهب بعيدا في الدعوة إلى حرّية المرأة ، كالمطالبة بحقّها في الطلاق وفي سُفور الوجه ،

---

1) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 74 .

2) - نهج البلاغة السلفية : وهو كتاب يجمع ما تفرّق من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، جمعه الشريف الرضي – وهو من علماء وشعراء القرن الرابع الهجري – ووضع أصوله وسمّاه نهج البلاغة ، يجمع هذا الكتاب بين دفتيه مئات الخطب والوصايا والحكم والأمثال والرسائل والمواعظ التي أنشأها – كما قيل – الإمام علي حتى صارت مثلاً للنثر الفني في عصر صدر الإسلام عند دارسي الأدب .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

3) - Mehjabeen Akhter : Op – Cit , P 97 .

4) - محمد الصياد : مرجع سابق .

ومنع التعدد إلى درجة أنّه ساهم في تأليف كتاب « تحرير المرأة » الذي كتب فصولا منه مع تلميذه قاسم أمين[1] الذي كتب فصولا منه هو الآخر، ثمّ صاغ محمد عبده بنفسه الكتاب صياغة نهائية كما ذهب إلى ذلك محقق أعماله محمد عمارة[2].

ويرى محمد عبده أنّ المرأة لو أُنصفت وكانت محلّ اهتمام من قبل المجتمع وجاز لها الخروج للمشاركة مع الرجل يدا بيد ، وعلى حد سواء في مسؤوليات الحياة ودعمها له إيّاه لضاقت الهوّة بينه وبينها ولتحققت المساواة بينهما دون أيّ جهد أو عناء[3]، كما يضيف قائلا بأنّ المرأة تشكّل نصف المجتمع ولا شكّ في ذلك ، وما اهتمامه بهذا النصف إلاّ لأنّه كان يراه شبه ميت ، فدعا إلى إيقاظ هذا النصف وإعادة بعثه من جديد[4].

كما بيّن محمد عبده الحرص على مكانة المرأة وحقوقها التي منحها لها الإسلام والتي لا يجوز للرجل أن يجور عليها[5]، وبيّن أيضا حقوقها التي أعطاها إياها باعتبار المرأة كالرجل حتى في الأمور العامّة ، إلاّ ما استثنى منها مثل كونها لا تباشر الحرب بنفسها ،

---

1) - قاسم أمين (1280 – 1326 هـ / 1863 – 1908 م) حقوقي مصري ولد ببلدة طرّة وهي من ضواحي القاهرة ، درس بالإسكندرية ثمّ بالقاهرة ، وسافر في بعثة إلى فرنسا حيث أتمّ دراسة الحقوق في مونبيلييه عام 1885 م ، كتب عددا من الكتب تدعوا إلى نبذ القديم والتخلي عنه ، وانتقد بعض الظواهر الإجتماعية التي لا تروقه ، كما شجّع الدعوة إلى تقمص سلوكيات وآداب الغرب المخالفة للإسلام ، ودعا إلى تحرير المرأة وخاصة من الحجاب ، فأثارت دعوته ضجّة كبرى في مصر والعالم الإسلامي ، وقوبلت أفكاره بالرفض والاستنكار، وردّ عليه كثيرون مفندين آراءه ، وأشهر آثاره تحرير المرأة ، المرأة الجديدة ، وفي الكتاب الأخير دافع فيه عن آرائه التي وردت في الكتاب الأول ، وساهم في إنشاء الجامعة المصرية .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

2) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

3) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 173 .

4) - محمد الصياد : مرجع سابق .

5) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 73 .

كما بيّن أنّ تشريع الإسلام قد أصلح معاملة الرجل للمرأة ، واعترف لها بالكرامة ، وأنكر تلك المعاملة القاسية التي كانت تعاملها بها بعض الأمم[1].

وفي موقف آخر نجد أنّ محمد عبده قد دعا إلى تعليم المرأة والنهوض بها ، وذلك قبل صدور إعلان الأمم المتحدة بنصف قرن ، إيمانا منه بأنّ تعليم المرأة هو أساس تحقيق الإصلاح الإجتماعي .

وكان اهتمام محمد عبده بتعليم المرأة ناشئا عن عدّة عوامل منها ما يتعلق بثقافته الإسلامية ، حيث رأى أنّ إنصاف المرأة والنهوض بها أمر يحض عليه الدين ، ومنها عوامل تتصل بالظروف المنزلية التي نشأ فيها ، فقد عاش في ظلّ أسرة تعاني من تعدّد الزوجات وانتشار الجهل والخرافات بين نسائها ، وتعرضهنّ للظلم والاستبداد ، فرأى في تعليم المرأة وسيلة فعّالة للتخلص من هذه العيوب ، كما كان اجتماعه مع كبار رجال الفكر في صالون الأميرة نازلي فاضل لدراسة القضايا الإجتماعية والثقافية في البلاد له تأثير كبير في توجيه اهتمامه لقضايا المرأة[2].

وفي إحدى خطب محمد عبده بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية قال : « نحن نتمنى تربية بناتنا لأنّ الله تعالى يقول : « **ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف** »(البقرة : 238) ، « **إنّ المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات** » (الأحزاب : 35) ، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي تشرك الرجل والمرأة في التكاليف الدينية والدنيوية ، فكأنّ ترك البنات يفترسهنّ الجهل وتستهويهنّ الغباوة من الجرم العظيم »[3].

وإذا كان حديث محمد عبده عن الإصلاح الأسري والعائلي – هذا الحديث الوعظي العام – قد كان في جملته كلاما شعريا مثاليا فإنّ موقف الرجل من قضية المرأة – باعتبارها

---

1) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 22 .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 171 ، 172 .

3) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 172 .

لبنة الأسرة الأساسية – كان من بين أعظم مواقفه واقعية وثورية ، وهو من أبرز المواقف الإصلاحية التي شهدها العصر الذي عاش فيه[1].

5- مـــوقـفـــه مـــن إصـــلاح الأســـرة :

تعتبر الأسرة في نظر محمد عبده الركيزة الأولى والأساسية في حياة الفرد أولا والمجتمع ثانيا فهي بمثابة التربية الخصبة لنموّه ، وهي المكان الذي يوّفر الحماية والأمن وإشباع الحاجات الأساسية للطفل ، وهي المجال الحيوي الذي تبدأ فيه أول خطوة لاتصال الطفل بالعالم المحيط به ، وتكوين الخبرات التي تعينه على التفاعل مع بيئته المادية والإجتماعية ، والأسرة كوعاء تربوي لا يقتصر دورها على السنوات الأولى من حياة الطفل فحسب ، وإنّما يمتدّ أثرها إلى مختلف مراحل عمره[2].

وفي عدد غير قليل من الآثار الفكرية التي خلّفها لنا محمد عبده نجد اهتمامه بالأسرة ، فهو يرى أنّ الترابط الأسري له دور في المجتمع ، وهذا برعاية المحتاجين والفقراء من أهله[3]، وهو يرى أيضا أنّ العلاقات الأسرية لها أثر في إشباع هذه الحاجات ، فالأسرة المترابطة التي يسود بين أفرادها عواطف الحب ، التراحم والتعاون يتمّ من خلالها إشباع هذه الحاجات، والأسرة المفككة التي يسود أفرادها القسوة والكراهية يتعرض فيها الأطفال للضياع والنمو غير السوي ، ولذا كان للترابط الأسري أثر في النمو العاطفي السليم للطفل[4].

وتركيز محمد عبده على أنّ إصلاح الأسرة وإقامتها على أسس سليمة هما الضمان لتكوين المجتمع والأمّة على النحو الذي نريد من جهودنا في الإصلاح ، لأنّ الأسرة هي

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 173 .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 66 .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 87 .

حجر الأساس في هذا البناء الكبير، فهو يتحدث عن أنّ الأمّة تتألف من البيوت (العائلات) فصلاحها صلاحها ، ومن لم يكن له بيت لا تكون له أمّة[1].

وقد كان محمد عبده يريد أن تقوم الأسرة المصرية على علاقة جدّ وطيدة بين أفرادها أساسها القائم الودّ والاحترام الذي بدوره يقوّي التعاون والتكاتف حتى يكون لها هدف تربوي إصلاحي ، وكان أشدّ ما يقلقه ازدياد ظاهرة التفكك والتفسخ في صلات أفراد الأسرة ، ولم تكن دراسته لهذه الظاهرة دراسة تأملية فقط ، بل استندت إلى دراسة الواقع ، واستخدم في بعض الأحيان الإحصاء والرصد[2].

ولقد بذل محمد عبده جهدا إصلاحيا كبيرا في إصلاح الأسرة ، ويكفي أن نعلم أنّ أغلب جهده في إصلاح المحاكم الشرعية قد استهدف هذا الجانب من الإصلاح ، إصلاح الأسرة بوصفها البنية التحتية للمجتمع الذي يعيش فيه الفرد[3].

ولقد كان اهتمام محمد عبده بوظائف الأسرة ومهامها التربوية راجعا إلى عدّة أسباب بعضها فكري يتصل بثقافته الدينية ، وبعضها يرجع إلى طبيعة تكوينه الريفي الذي يقيم وزنا كبيرا للترابط الأسري ووحدة البيوت ، كما أنّ التفكك والانحلال اللذين كانا يزحفان على العلاقات الأسرية كانا من العوامل والأسباب التي أزعجت محمد عبده ، واستنفرت تركيزه على هذا الجانب من وسائط التربية[4].

---

1) - محمد الصياد : مرجع سابق .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 67 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 173 .

4) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 68 .

6- موقفه من الممارسات الدينية :

أمّا موقف محمد عبده في مجال الممارسات الدينية فإنّه صحّح العقائد الإسلامية التي تسرّبت إليها البدع والخرافات من جرّاء بعض الممارسات الطرقية ، وقاوم الجبرية ، ودعا إلى حرّية الإرادة وحرّية العقل ، ولعلّ هذا من أبرز العناصر الإيجابية في حركته ، والذي يمكن أن يستمرّ مع الأجيال على الدوام ، كما قاوم بعض الظواهر الإجتماعية المرتبطة بالدين مثل تقديس الأولياء في حياتهم ، والتمسح بقبورهم بعد وفاتهم[1]، ودعا أيضا إلى الحرّية السياسية المتمثلة في الشورى ، والحرّية من العبودية لغير الله ، وحرّية العقيدة المتمثلة في قوله تعالى : « **لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغيّ** »[2]، لأنّ الإكراه على الدين ألصق بالسياسة منه إلى الدين ، وما شرع القتال إلاّ لتأمين الدعوة ، وكفّ الشرّ عن المؤمنين ، كما دعا إلى حرّية الجدل الديني المتصلة بحرّية العقيدة[3].

وبالتالي فقد كان من أبرز دعوات محمد عبده معارضة الجبرية الصوفية ، والدعوة إلى العمل والبناء ، وهذا ما جعله يقول في هذا الصدد : « لماذا نعتزل الدنيا ، إنّ علينا أن نخالط الناس ، وأن نعيش في المجتمع عاملين ، وإنّ واجب كلّ مسلم صحيح الإسلام ، وأن يؤدي رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[4].

وفي موقف آخر نجد أنّ محمد عبده ما فتئ يدعو إلى تطهير الدين من البدع والخرافات ، وحاربها في عادات الموالد وغيرها ، كما انتقد التسليم بأقوال السلف دون نقد واجتهاد باعتبار أنّ الإسلام يرفض التقليد الأعمى ، كما بصر بالفهم المتوازن بين الدين والعلم ، إذ أنّ الإسلام يقتضي العقل ولا يحجر عليه ، ولا قيد إلاّ ما قيّد الدين في بعض

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

2) - **القرآن الكريم** ، سورة البقرة ، الآية : 255 .

3) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 21 .

4) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 283 .

الحدود[1]، وإنّ من بين أهمّ الوظائف التي كان محمد عبده داعيا لها نبذ تلك القيود سواءا قيود الجهل والخرافة ، وقيود السلطان والقوي أيّا كانت دينية ، أو اجتماعية ، أو سياسية[2].

لقد استخلصنا من آثار محمد عبده أنّه أخذ يحارب العادات القديمة والخرافات الدينية التي أفسدت روح الإسلام والحياة الإجتماعية في مصر والشرق[3]، فدعا إلى تنقية العقائد ممّا طرأ عليها من البدع والمنكرات كتقديس الأولياء ، ولزوم المقابر، والدعاء والذبح لغير الله ، وغير ذلك من أيّ معتقدات زائفة[4]، كما حاول أن يبطل بعض هذه السلوكات أو الممارسات حتى ولو كان مسموحا بها في السنّة النبوية كزيارة المقابر والأضرحة مثلا ، وهو يبرّر تلك المقاومة بالابتعاد عن الحدود الشرعية ، لأنّه كان يخشى أن تتحوّل تلك الزيارات إلى تقديس أصحاب القبور فيؤدي بهم ذلك إلى الشرك ، ثمّ ما لبث أن انشغل بمقاومة رجال الصوفية والفقهاء التقليديين الذي جلب له انتقادات كثيرة من الكتاب والسياسيين الذين اعتبروا عمله في هذا الحقل مضيعة للوقت ، وخروجا عن رسالته الحقيقية التي حصروها بالنسبة له في التعليم ، التوجيه ، القضاء وإصلاح الأزهر[5].

ومع ذلك فمحمد عبده غيّر نظره إلى الحركة الوهابية التي لم يجد ضالته فيها أيضا لما كانت تتّسم به من بداوة ، وبالتالي وقف موقفا متشككا من حكم العقل والمدنية الجديدة ، وفي نفس الوقت رفض الانسلاخ عن تراث وثقافة المجتمع الإسلامي والارتماء في أحضان ثقافة أخرى ، ويرى أنّ هذا الطريق لن يوصلنا إلى شيء لأنّه يستدعي نقض كل شيء والبدء من جديد ، وهذا يعدّ من المستحيلات .

---

1) - عبد الحكيم العبد : مرجع سابق ، ص 109 .

2) - محمد صالح محمد السيد : **إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام محمد عبده** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع : القاهرة ، 1998 ، ص 8 .

3) - محمد صبري : مرجع سابق ، ص 188 .

4) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 21 .

5) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

ولذلك عمد محمد عبده في الدعوة إلى طريق ثالث بعيدا عن التقليد وبعيدا عن الانقياد هو طريق التجديد الديني[1] الذي تزعّمه في قيادة ردّ الفعل الإسلامي ضدّ حرفية الدين ، والدعوة إلى تجديد حيوية المسلمين وإلهامهم بالإحساس والكرامة ، والتماشي مع روح العصر والتضامن والحفاظ على القيم الدينية[2]، وذلك بأن نزيل عن الفكر غيوم الأوهام والخرافات ، ضيق الأفق والجمود الذي أوقعنا في واد عميق من الجهل والتخلف ، ولكن دون أن نرفض أصل حضارتنا وهو الإسلام[3]، حيث قام بنشر ستّ مقالات بالمؤيد مؤكدا على أنّ الإسلام هو الذي نقل الحضارة إلى أوروبا[4]، لأنّ هذه الحضارة كان لها نصيبا من العلو والسمو والتفوق على الحضارات الأخرى ، فإن أصابها الجمود الآن فليس بسبب دعامتها الأساسية وهو الإسلام ، إنّما بسبب ما أصبنا به نحن من جمود وضيق أفق وعزوف عن التفكير وفقدان الثقة في أنفسنا[5].

ولمّا كان محمد عبده محرّر الجريدة الرسمية ، وكان ذلك منذ ظهور الصحافة في مصر يعمل بإصلاحاته الدينية على تثقيف الرأي العالم وجعله عاملا أساسيا في التقدم المصري[6] لا يرى طريقا للإصلاح الديني إلاّ بإصلاح الأزهر، حيث قال في هذا الصدد : « إنّ بقاء الأزهر متداعيا على حاله في هذا العصر محال ، فهو إمّا أن يعمر وإمّا أن يتمّ خرابه » .

وعلى الرغم من أنّ محمد عبده والحركة الوهابية اتفقا على محاربة البدع والخرافات إلاّ أنّهما اختلفا في الطريقة ، فمنهج الحركة الوهابية هو ترك البدع والخرافات التي جدّت على علوم الدين ، والعودة إلى تقليد السلف الصالح عن طريق الأخذ بظاهر النص ورفض

1) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

2) - عبد الرحمان عواطف : **مصر وفلسطين** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت ، 1978 ، ص 26 .

3) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

4) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

5) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

6) - محمد صبري : مرجع سابق ، ص 207 .

التأويل ، أمّا محمد عبده فقد رأى أنّ التقليد نفسه هو المشكلة سواءا تقليد المشايخ فيما ابتدعوه من بدع وخرافات وأوهام يحشون بها مناهج الأزهر، أو التقليد النصي للسلف الصالح بدون إبداء مرونة في التعامل مع مستجدات العصر وتغير المكان والزمان ، فالمشكلة ليست في اختيار من نقلّده ، وإنّما المشكلة في أن نلجأ إلى التقليد أصلا ، حيث رأى أنّ الحلّ في ذلك هو إعمال العقل وإحياء عقلانية التراث الإسلامي لنعطي للأمّة بديلا عن الجمود وعن التغريب[1].

وفي كلّ هذا نجد أنّ محمد عبده طالب بتحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمّة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى ، واعتباره ضمن موازين العقل البشري التي وصفها الله لتردّ من شططه ، وتقلل من خلطه وخبطه لتتمّ حكمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني وفتح باب الاجتهاد ، ومحاربة الخرافات والأباطيل التي نسبت زورا إلى الإسلام[2]، فهو يعدّ هذا التحرير للفكر صديقا للعلم من حيث أنّه باعث على البحث في أسرار الكون وداعي إلى احترام الحقائق الثابتة ، كما أنّه طالب بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل[3]، وبذلك فمحمد عبده ذمّ التقليد ودعا إلى الاجتهاد ، وأباح لنفسه الاجتهاد في مسائل ومشكلات وأبدا فيها رأيه ، وسخر من التقليد والمقلدين[4].

ولا نبالغ في القول أنّ محمد عبده سعى إلى إعادة صياغة بنية النص الديني من خلال العودة إلى روح الإسلام في اجتهاداته ، ففي كتابه (رسالة التوحيد) الذي نرى أنّه رسالة الإسلام الجديدة يعطي مضامين جديدة للإسلام تعتمد أساسا على عقلانية غير معهودة ولا

---

1) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

2) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 284 .

3) - مصطفى دسوقي كسبه : **الإطار الفكري لمدرسة المنار وموقعها من المدارس الأخرى** ، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث ، القاهرة (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م ، ص 392 .

4) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 21 .

مألوفة في تراث الإسلام ، وفي رسالة التوحيد يدشّن تلك النظرة التجديدية ، ولا بأس من الاستشهاد بنص قد يبدو طويل لكنّه يلخّص – إن صحّ التعبير– المشروع الحضاري لمحمد عبده ، فيعلن وبصوت عال أنّ : « الإسلام شجب التقليد الأعمى فيما يتعلق بالعقيدة كما شجب التطبيق الآلي للواجبات الدينية ، وقد نبّه الإسلام الفكر من غفوته ... ورفع الصوت ضد الجمود والجهل ، فأعلن أنّ الإنسان لم يخلق كي يقاد من عنانه ، وإنّما من طبيعته الخاصة وراء العلم والمعرفة ، وراء علم الكون ومعرفة الوقائع والأحداث الماضية »[1].

وكل هذه الأحداث مهّدت لانطلاق حركة فكرية إسلامية حديثة – في هذه الفترة من بداية القرن التاسع عشر ميلادي – وظهر ما يسمى بالاتجاه الفكري الإسلامي المقاوم للاحتلال ، ويطلق عليه كذلك حركة الإصلاح والتجديد الديني ، ومن أبرز رجالاته في هذه الفترة محمد عبده الذي صال وجال في البلاد الغربية وأدرك ما يكيده هناك الغرب من مكائد ومؤامرات للأمّة المسلمة ، كما طاف في البلاد الإسلامية كثيرا لكن ساءه حالها وما تمرّ به من أزمات مادية ، فكرية وسياسية ، حكوماتها منخورة يتلاعب بها المستدمر الغربي وأوضاعها مزرية ، والفرقة تعشّش في جسدها ، أضف إليه انتشار الجهل والظلم فيها ، وفقدان الحرّية ... حاز كل هذا في نفسه ممّا جعله يبذل كلّ جهده ووقته ونشاطه في الإصلاح والتجديد الديني[2].

وممّا يتصل بإصلاح التعليم الديني أن قد أتيحت الفرصة لمحمد عبده بعد توليه منصب الإفتاء عام 1899 م أن يقوم بزيارة عدد من المحاكم الشرعية ، ضمن أعضاء لجنة شكّلت لبحث أحوال المحاكم الأهلية في مصر، فهاله سوء الحال التي كانت عليها المحاكم الشرعية

---

1) - محمد نور الدين جباب : **إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر**، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2006 ، ص 32 .

2) - رشيد كهوس : **نشأة الفكر الإسلامي الحديث** ، مجلة المثقف ، العدد 2019 ، الجمعة 03 / 02 / 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . almothaqaf . com / index . php / araaa / 60093 . html

حيث أنّ القضاة لم يكونوا من حملة العلوم الشرعية التي تتيح لهم حسن البتّ في قضايا الناس من الناحية الشرعية[1].

كما لا ننسى أنّ محمد عبده قد مثّل تيارا من التيارات السياسية والفكرية التي ظهرت لتعبّر عن شكل أو آخر من أشكال الإستجابة لعملية التحوّل في مختلف جوانب المجتمع ، وهو التيار الإسلامي التجديدي ، وفي داخل هذا التيار عبّر عن منهج وأسلوب متميزين ، وقد كان المحور الرئيسي وراء أهدافه هو النزعة إلى التجديد ، حيث اشترك مع أستاذه وصاحبه جمال الدين الأفغاني في تأسيس هذا التيار، فكان يسعى من خلال هذا التيار – الذي بدأه في واقع الأمر جمال الدين الأفغاني وتابعه من بعده تلميذه محمد عبده – إلى نهضة الشرق وإيقاظه من سباته وإصلاح العقول والنفوس وكذا إصلاح الحكومة[2].

ومن بين أهمّ النقاط التي رآها محمد عبده في أسباب الخذلان عند المسلمين هي القصور في التعليم الديني ، حيث نقد الأزهر وجموده وطرق تعليمه ، وعبارات الكتب المتأخرة المتداولة ، ودعا إلى كسر قيود التقليد الأعمى ، وهاجم الصوفية الذين يعتقدون بالأموات وقال : « إنّ هذا من أعمال الوثنيين » ، كما نقد جمهور العامّة لأنّهم إمّا جبرية أو مرجئة ، وبعض هذا النقد من الإيجابيات إلاّ أنّه غالى في مهاجمة التقليد فكان من وراء ذلك فتح باب الاجتهاد على مصراعيه لمن يحسنه ومن لا يحسنه ، ولذلك فإنّ أهمّ أعماله كانت محصورة في كسر الجمود الذي ران على التعليم والأزهر[3].

ويؤكد الطاهر بن عاشور على أنّ الإصلاح الديني الذي قام به قادة الإسلام المحدثون أمثال محمد عبده الذي أفاق على تغيير العالم ونهضته العلمية ، ووعى بظروف العصر الحديث ، فحاول بوسعه أن ينفض عن الفكر الإسلامي غبار القرون المتتالية ، تشحذه في

---

1) - سعيد إسماعيل علي : مرجع سابق ، ص 207 ، 208 .

2) - زيلوخة بوقرة : مرجع سابق ، ص 71 .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

ذلك عزائمه القوية وجهوده الفكرية الواعية التي تنطلق من أجل الحياة وقوامها ، وهو التفكير الديني المؤسس على القرآن الكريم وتفسيره[1].

وفي موقف آخر نجد أنّ محمد عبده رفض السلطة الدينية ، ولكنّه لم يناد بالعلمانية كما أراد بعض المجرّحين تشويه صورته ، وإنّما نادى بالسلطة المدنية الإسلامية ، فهو يقول أنّ الحاكم ليس له سلطة دينية فيحكم على عقائد الناس بالفساد أو الصلاح كما كان يفعل الباباوات في أوروبا ، وإنّما الحاكم الإسلامي سلطته مدنية ويحكم بالشرع الإسلامي كسلطة تنفيذية تنفّذ هذا الشرع ، وليس وسيطا بين الله وعباده[2]، وكلامه هذا عن السلطة في الإسلام لم يكن واضحا على أنّها مدنية من جميع الوجوه وأنّه ليس في الإسلام سلطة سوى الموعظة الحسنة والدعوة إلى الخير، وربّما يقال إنّه يقصد أنّ الحكومة في الإسلام ليست تيوقراطية ، أو ليس في الإسلام سلطة كسلطة البابا عند النصارى ، ولكنّه يبقى كلاما غامضا مما شجّع هذا الاتجاه الذي يعتبر أنّ الحكم والخلافة ليستا من أصول الإسلام[3].

وإذا كان محمد عبده قد أسهم في بداية حياته في توجيه النشاط السياسي لمصر في فترة الثورة العرابية وما بعدها ، فإنّ نشاطه كمصلح ديني واجتماعي يفوق ما عداه من أوجه النشاط الأخرى ، فإصلاحه لنظم التعليم في الأزهر، وبعثته للحركة الفكرية والأدبية في مصر، وخدمته للعلوم الدينية ، ودفاعه عن الإسلام جعلته في قمّة المصلحين في هذا العصر، ويبدو أنّ انصراف محمد عبده في آخر أيامه عن القضايا السياسية هو إيمانه بأنّ الإصلاح الديني والاجتماعي يجب أن يسبق الإصلاح السياسي ، وهو ما كان يؤمن به ويدافع عنه قبل انضمامه إلى العُرابيين ، فاعتزاله الحياة السياسية إنّما هو العودة إلى البداية[4].

---

1) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 23 .

2) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 109 ، 110 .

إنّ محمد عبده يعدّ واحدا من أبرز المجدّدين في الفقه الإسلامي في العصر الحديث ، وأحد دعاة الإصلاح وأعلام النهضة العربية الإسلامية الحديثة ، فقد ساهم بعلمه ووعيه واجتهاده في تحرير العقل العربي من الجمود الذي أصابه لعدّة قرون ، كما شارك في إيقاظ وعي الأمّة نحو التحرر، وبعث الوطنية ، وإحياء الاجتهاد الفقهي لمواكبة التطورات السريعة في العلم ، ومسايرة حركة المجتمع وتطوره في مختلف النواحي السياسية ، الاقتصادية والثقافية[1]، كما لا ننسى أنّه استطاع بأسلوبه القويّ أن يكتب في عدد من القضايا التي تدور حول تدهور أحوال المسلمين والدعوة إلى بعث قوّتهم من جديد ، كما اكتسب منهج محمد عبده النظرة الموضوعية والتحليلية لأوضاع المجتمع[2].

لقد ظلّ خطاب محمد عبده في الإصلاح الديني – رغم استلهامه الشديد من الغرب المتقدم – شديد التمسك بتراثه ، بل لقد كان يشكّل له جزءا أساسيا من هويّته وانتمائه وفي كثير من الأحيان كان المرجعية التي تحدّد له ما يأخذه من هذا الغرب المتقدم ، وما يجب تركه ، بالرغم من كونه قد أخذ الكثير والكثير من هذا الغرب[3].

وبهذا المنهج استطاع محمد عبده أن ينشر أفكاره في كافّة أنحاء العالم الإسلامي التي سارت في الغالب على نهجه السلمي ، لتركّز أولا على تطهير الفكر والنفس من الشوائب عن طريق العلم والمعرفة ، ثمّ تأتي مرحلة تحريرها من قيد الإستعمار لتكون أكثر نجاحا ، ومن ثمّ فقد كانت حركته كإحدى المؤثرات المباشرة لظهور الحركة الإسلامية في العصر الحديث والتي واصلت الطريق الذي بدأه المصلحون الأوائل وسارت على خطاهم ساعية لتحقيق الهدف المنشود ، وهو تحرير العالم الإسلامي من طغيان التخلف وطغيان الإستعمار[4]، وفي أوائل عهد الخديوي توفيق أسند إليه التحرير في الوقائع المصرية ، ثمّ ما

---

1) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

2) - زيلوخة بوقرة : مرجع سابق ، ص 73 .

3) - محمد نور الدين جباب : مرجع سابق ، ص 33 .

4) - زيلوخة بوقرة : مرجع سابق ، ص 73 ، 74 .

لبث أن أصبح رئيسا للتحرير، وقد اتخذ من جريدة الوقائع المصرية منبرا لنشر دعوته الإصلاحية والمناداة بالنهوض بالبلاد من جميع النواحي الإجتماعية ، الاقتصادية والسياسية[1].

ويتلخّص أسلوب محمد عبده الذي اتبعه في الإصلاح الديني من ثلاثة عناصر:

- ✓ العودة إلى النبع الصافي أو السلف الصالح ، وكان يعني به الأوضاع التي كان عليها المسلمون الأوائل قبل الخلاف .
- ✓ استخدام العقل حيث رأى فيه مظهر التفكير الذي حثّ عليه جوهر الإسلام بفهم أسسه وبيانها .
- ✓ الاستناد إلى أدوات تقوّي الصلة بين الإسلام ومتطلبات العصر[2].

ودعوة محمد عبده إلى العودة لنموذج سلف الأمّة ليست دعوة رجعية كما يتوهّم البعض وإنّما هي دعوة إلى تجميع الأمّة تصور عقدي يمثّل الإسلام تمثيلا صحيحا ، وقد أثبت هذا الأنموذج – على مستوى التاريخ – صحّته وسلامته في احترام النقل وتقديسه ، وإزكاء العقل وتقديره[3].

1) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 107 .

2) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 6 ، 7 .

3) - محمد صالح محمد السيد : مرجع سابق ، ص 11 .

7- موقفه من تفسير القرآن الكريم :

في بداية القرن الرابع عشر هجري ونهايات القرن التاسع عشر ميلادي بدأ تحول كبير في طريقة تفسير القرآن الكريم ، بدأ هذا التحوّل في مصر وعلى يد محمد عبده بنضجه العقلي ، حيث كانت كل التفاسير أمامه فلم يتقبل منها طريقتها – كما يرى الدكتور عبد المنعم النمر رحمه الله – وإنّما نحا منحى جديداً في التفسير في دروسه التي ألقاها في بيروت حين نفي إليها ، ثمّ عاودها حينما عاد إلى مصر، وبدأ دروسه فيها من أوّل القرآن على الطريقة التي رآها تبرز هدايته وأثره في النفوس ، وحتى يستعيد المسلمون بهدايته سيرتهم الأولى في القوّة العلمية والسياسية ، ويتحقق بذلك منهجه في الإصلاح الذي تأثّر فيه بمنهج أستاذه جمال الدين الأفغاني[1].

ويعتبر أكبر عمل ديني وثقافي ورثه المسلمون عن محمد عبده هو تفسير القرآن الكريم الذي اشتهر به ، ووافق فيه أصول مدرسته[2] والذي يعدّ من أجود التفاسير، وأثراها وأكثرها ملاءمة للعصر، وهذا التفسير الذي جاء به كان بمنهج جديد يعتمد على العقل ، ذلك أنّ كلّ من يقرأ هذا التفسير يشعر بطرافة الموضوع ، متعة الأسلوب ، جمال اللّغة ، وبذوق فني رفيع ، وبمعلومات تاريخية وعلمية قيّمة ، بالإضافة إلى المعرفة الدينية والأخلاقية التي تربّي المجتمع ، وتجمع اللحمة بين أفراده ، وتربي فيه قيم الحرّية ، ونبالة الضمير الإنساني[3]، وأسلوبه في هذا التفسير يميل إلى السهولة في التعبير ويبتعد عن مزج الكلام باصطلاحات العلوم والفنون بحيث يفهمه العامّة ، ولا يستغني عنه الخاصة ، وهذه هي الطريقة التي جرى عليها في دروسه في الأزهر[4].

---

1) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 6 ، 7 .

2) - سليمان بن صالح الخراشي : مرجع سابق ، ص 351 .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 25 .

وقد كان محمد عبده ينظر إلى التفسير بأنّه « فهم الكتاب العزيز» من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة ، فإنّ هذا هو المقصد الأعلى منه ، وما وراء هذا من المباحث فهو تابع له أو وسيلة إلى تحصيله[1]، ولم يكن غريبا أن ينهض محمد عبده – رائد التفسير الحديث – بتفسيره للقرآن الكريم لا ليضمّ نسخة جديدة تتشابه مع سابقاتها ، بل ليجعله صيحة البعث ونور الشروق ، ويظهر الذكر كما أنزله الله سبحانه وتعالى ناصع الصفحة واضح الغرض[2].

وفي موقف محمد عبده أيضا من تفسير القرآن الكريم يرى أنّ الذين يريدون أن يفسّروا القرآن الكريم تفسيرا حديثا مستنيرا عليهم أن يتزوّدوا بالأسلحة اللغوية ، أسباب النزول ودراسة السيرة النبوية ، والنظر في الكون ثم يفهم القرآن حسب عصره[3]، ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل[4]، وأن لا تشكّل آراء المفسّرين السابقين حدودا للتفكير والاستنباط لأنّ رؤى المفسّرين السابقين ارتبطت بالمستوى العقلي ودرجة العلم التي بلغوها ، فلا يجب أن نلزم أنفسنا بما بلغوه ونقف عنده فلا نتعداه[5].

وفي ذلك يقول : « ما قيمة سند لا أعرف بنفسي رجاله ولا أحوالهم ، ولكنّنا نعرض هذه المأثورات على القرآن فما وافقه كان القرآن هو حجّة صدقه ، وما خالفه فلا سبيل لتصديقه »[6]، كما كان الاتجاه الأهمّ لنهضة التفسير في عصر محمد عبده هو تجريد التفسير التفسير من الخرافات والإسرائيليات والاستطرادات النحوية والبلاغية الكثيرة ، والاقتصار

1) - محمد دراجي : مرجع سابق ، ص 47 .

2) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 23 .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 15 .

5) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

6) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

على الضروري منها لفهم الآية حتى لا يضيع معناها في أعطاف تلك المصطلحات الفنية[1].

وفي نفس الوقت يستدلّ محمد عبده بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسّر القرآن الكريم ، فلماذا نضفي قدسية على تفسيرات العلماء السابقين ، ونضعها حاجزا بيننا وبين الإعمال المستمر للعقل في معاني ومقاصد الآيات القرآنية ، وهو ما يراه محمد عبده إحدى مقاصد الله في القرآن الكريم ، فنجده في ذلك يقول لأحد أعضاء جمعية العروة الوثقى : « داوم على قراءة القرآن ، وتفهّم أوامره ونواهيه ومواعظه كما كان يتلى على المؤمنين والكافرين أيام الوحي ، وحاذر النظر إلى وجوه التفاسير إلاّ لفهم مفرد غاب عنك مراد العرب منه ، أو ارتباط مفرد بآخر خفي عليك متصله ، ثمّ اذهب إلى ما يشخّصك القرآن إليه ، وأحمل نفسك على ما يحمل عليه ، و ضمّ إلى ذلك مطالعة السيرة النبوية واقفا عند الصحيح المعقول ، حاجزا عينيك عن الضعيف المرذول »[2].

وفي هذا كلّه نجد أنّ منهج محمد عبده في تفسير القرآن الكريم يقوم على التدبّر في معاني القرآن ، والوصول إلى أسرارها بخلاف غيره من المفسرين الذين كانوا يركّزون اهتمامهم على الألفاظ دون المعاني ، كما كان يؤمن بوحدة السورة وتناسق آياتها على عكس غيره من المفسرين الذين يقسمون آيات السورة إلى جمل ، ويجعلون لكل جملة سببا مفصلا ممّا يجعل القرآن مفككا مبددا لا اتصال بين أجزائه ، وهذا ما يتنزه عنه كلام الله ، كما حرص محمد عبده في تفسيره على تقرير صفة العمومية والشمول في معاني القرآن الكريم وكان يحتجّ على هذا النوع من التفسير الذي ينحو منحى الضيق والتخصيص[3].

---

1) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 7 .

2) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

3) - عبد الله محمود شحاتة : **منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم** ، مكتبة وهبة : القاهرة ، 1963، ص36.

ولقد استعرض علامة الجزائر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي[1] في مقدمته لتفسير محمد عبده حيث قال : « ... ثمّ كانت المعجزة بعد ذلك الإرهاص بظهور إمام المفسرين بلا منازع – محمد عبده – أبلغ من تكلّم في التفسير بيانا لهديه وفهما لأسراره ، وتوفيقا بين آيات الله في القرآن ، وبينها في الأكوان ، فبوجود هذا الإمام وجد علم التفسير وتمّ ، ولم ينقصه إلاّ أنّه لم يكتبه بقلمه كما بيّنه بلسانه ، ولو فعل لأبقى للمسلمين تفسيرا لا للقرآن بل لمعجزات القرآن ، ولكنّه مات دون ذلك »[2]، ويقول عثمان أمين في صدد آخر أنّ محمد عبده قد فهم الكتاب الكريم بالوقوف على معانيه العامّة[3].

لقد علم محمد عبده أنّ أمضى سلاح للإسلام هو القرآن الكريم فلا بدّ من شحذه بالشرح النظيف والتفسير النقي ، وتنظيفه من الصدأ الذي غلّفته به تلك التفاسير القديمة ، فإنّ غزو

---

1) - البشير الإبراهيمي : ولد بأولاد ابراهم قرب سطيف بتاريخ 14 جويلية 1889 م ، تلقى دراسته الأولى بعد حفظه القرآن على يد أبيه وعمّه ، هاجر إلى المشرق العربي سنة 1911 م أتمّ دراسته العالية في المدينة المنورة وانتقل إلى دمشق ، فعُيّن أستاذا للأدب العربي في أحد معاهدها ، عاد إلى الجزائر سنة 1921 م حسب الاتفاق الذي تمّ بينه وبين ابن باديس في وجوب نشر الإسلام والعربية ، ولمّا توفي ابن باديس انتخب رئيسا للجمعية وهو بمنفاه بآفلو التي قضى بها ثلاث سنوات ، إثر حوادث 8 ماي 1945 م اعتقل مرة ثانية وسجن وعذب ، وبقي هناك إلى أن تحرّر بعد إصدار قانون العفو العام بتاريخ 9 مارس 1946 م ، أنشأ معهد ابن باديس بقسنطينة ، أحيا جريدة البصائر في سلسلتها الثانية ، رحل إلى القاهرة سنة 1952 م ممهدا لبعثات طلابية من جمعية العلماء ، في سنة 1954 م وبعد اندلاع الثورة التحريرية طاف بالمشرق العربي معرفا بالقضية الجزائرية وبثورتها المجيدة ، وداعيا إلى مناصرتها ماديا ومعنويا ، بعد الاستقلال عاد إلى الجزائر، داهمه المرض وتوفي على إثره بتاريخ 20 ماي 1965 م ، من آثاره : عيون البصائر، آثار محمد البشير الإبراهيمي بأجزائه الثلاث ، الاطراد والشذوذ في اللغة ، أسرار الضمائر في العربية ، التسمية بالمرجع ، كاهنة أوراس ، رسالة الضبّ ، فصيح العربية من العامية الجزائرية ، أرجوزة في 36 ألف بيت ضمنها تقاليد الشعب الجزائري وعاداته ، وليس بمكان أن نختصر حياة الشيخ ولا أعماله الثقافية ولا الأدبية ولا حتى الثورية في مجرد أسطر، لذلك من أراد التعرف على حياة الشيخ وعن كثب فليعد إلى المراجع التالية :

- ينظر: محمد الحسن فضلاء : **من أعلام الإصلاح في الجزائر** ، (ج 1) ، مطبعة دار هومة : الجزائر ، 2000 ، ص 11 ، 18 .
- وينظر: محمد البشير الإبراهيمي : **أنا** ، مجلة الثقافة ، عدد 87 ، ماي / جوان ، 1985 ، ص 21 ، 25 .

2) - جمال البنا : مرجع سابق ، ص 133 .

3) - محمد صالح محمد السيد : مرجع سابق ، ص 44 .

العقول به في عصر العلم لا يكون إلاّ بإظهاره على حقيقته ، وتجلّية أسراره بالأساليب الأدبية الخلاّبة ، والتحليل الفلسفي النظيف الذي لا ينحرف غلوا أو تفريطا ، بل يكون بين ذلك قواما كما أراده الحقّ تبارك وتعالى[1]، لذلك كان اعتماد محمد عبده الأساسي في تبليغ الدعوة هو تفسير القرآن الكريم على نحو عصري سلفي معا[2].

وإذا كان محمد عبده مصلحا وداعية إلى فهم جديد للإسلام فإنّ سلاحه الأول في تحقيق هذا كان هو التفسير، لأنّه يستطيع عن طريقه أن يصلح العقيدة وأن يقدّم فهمه الجديد دون التورط في شنشنات علم الكلام ، وينفسح له المجال للحديث عن القيم والمثل التي قام الإسلام لها ، ويشيّد بالعقل وإعمال الفكر قدر ما يندد بالجهل والتقليد وإتّباع الآباء ، ويوضّح شمولية الإسلام وسماحته وقبوله للتعددية كان باختصار يصل إلى أهدافه عبر التفسير أفضل ممّا كان يمكن أن يصل إليه بغيره ، لأنّه عندما يصل إليها بالتفسير فإنّه يربطها باللفظ المنزّل ويكسبها قداسة القرآن الكريم ، ومن هنا كان التفسير عدّته وعتاده ووسيلته ودعوته ، فقد درّسه في الجامع الأزهر طوال ستّة أعوام فسّر فيها قرابة خمسة أجزاء وألّف دروسا في التفسير في الجزائر وفي بيروت[3].

لقد قال محمد عبده ما خلاصته أنّ للتفسير مراتب أدناها أن يبيّن بالإجمال ما يشرب القلب عظمة الله وتنزيهه ، ويصرف النفس عن الشرّ ويجذبها إلى الخير، وأمّا المرتبة العليا فهي لا تتمّ إلاّ بأمور أحدها فهم حقائق الألفاظ المفردة التي أودعها القرآن الكريم ، بحيث يحقق المفسر ذلك من استعمالات أهل اللغة غير مكتف بقول فلان وفهم فلان ، فإنّ كثيرا من الألفاظ كانت تستعمل في زمن التنزيل لمعان ، ثم غلبت على غيرها بعد ذلك بزمن

---

1) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 6 .

2) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 282 .

3) - جمال البنا : مرجع سابق ، ص 130 .

قريب أو بعيد ، ومن ذلك لفظ التأويل اشتهر بمعنى التفسير مطلقا أو على وجه مخصوص ولكنّه جاء في معان أخرى[1].

ومن المدارس التي ظهرت حديثا في تفسير القرآن الكريم مدرسة محمد عبده ، تلك المدرسة الأدبية الإجتماعية التي سلكت في التفسير مسلكا أعلنت به أنّه يبرز الهدى القرآني ويقدمه لطالبه بأوضح عبارة ، ومن أيسر طريق بعيدا عمّا حشا به المفسرون تفاسيرهم من أمور كانت من صوارف الهمم عنها وعن الاغتراف منها[2].

إنّ محمد عبده يرى أنّه حتى يكون التفسير في المرتبة العليا لا بدّ من تحقيق أمور في المفسر، وهذه الأمور هي :

- ❖ فهم حقائق الألفاظ المفردة .
- ❖ الأساليب التي يفهم بها المفسر مراد المتكلم .
- ❖ علم أحوال البشر في أطوارهم وأدوارهم ومناشئ اختلاف أحوالهم قوّة وضعفا .
- ❖ العلم بوجه هداية البشر كلّهم بالقرآن الكريم .
- ❖ العلم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وما كانوا عليه من علم وعمل[3].

أمّا مجيزوا التفسير العلمي للقرآن وهم كثرة فيمثّلهم محمد عبده وهو الذي تبنّى التفسير العلمي للقرآن الكريم ، فوضع له الحدود التي تسدّ الباب أمام الأدعياء الذين يتشبعون بما لم يعطوا ، ومن هذه الحدود :

1- ضرورة التقيد بما تدلّ عليه اللغة العربية ، فلا بدّ من :

- ❖ أن تراعى معاني المفردات كما كانت في اللغة إبان نزول الوحي .

---

1) - محمد عبد العظيم الزرقاني : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، كتاب إلكتروني ، ص 383 ، 384 .

2) - محمد السيد جبريل : **منهج المنار في تفسير القرآن الكريم** ، ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث ، القاهرة (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م ، ص 44 .

3) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 11 .

- ❖ أن تراعى القواعد النحوية ودلالاتها .
- ❖ أن تراعى القواعد البلاغية ودلالاتها ، خصوصا قاعدة أن لا يخرج اللفظ من الحقيقة إلى المجاز إلاّ بقرينة كافية .

2- البعد عن التأويل في بيان إعجاز القرآن العلمي .

3- أن لا تجعل حقائق القرآن موضع نظر، بل تجعل هي الأصل فما وافقها قبل وما عارضها رفض .

4- أن لا يفسّر القرآن إلاّ باليقين الثابت من العلم لا بالفروض والنظريات التي لا تزال موضع فحص وتمحيص ، أمّا الحدسيات والظنّيات فلا يجوز أن يفسّر بها القرآن لأنّها عرضة للتصحيح والتعديل في أيّ وقت[1].

وفي الأخير نستنتج أنّ محمد عبده كان في تفسيره للقرآن الكريم إمّا مصيبا وإمّا مجتهدا ، عرض وجهة نظره معززة بأسانيد ومدعّمة ببراهين ، فإذا كان قد أخطأ فلن تفوته حسنة الاجتهاد ، وإذا أصاب فلا شكّ في ذلك ، وكان جديرا من معاصريه بالاحترام والتقدير لا بالنقد والنكير[2]، وهو الذي كان دائما يقول بأنّ القرآن الكريم يجب أن يكون أصلا تُحمل عليه المذاهب والآراء في الدين[3].

1) - **الإعجاز العلمي تأصيلا ومنهجا** : إعداد الأمانة العامة لهيئة الإعجاز ، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة : مكة المكرمة ، ص 6 .

2) - جمال البنا : مرجع سابق ، ص 131 .

3) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 285 .

8- موقفه من أفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني :

صحب محمد عبده أستاذه جمال الدين الأفغاني زمنا طويلا ولكنّه اختلف معه في أسلوب الإصلاح ، حيث كان حديثهما الذي لم ينتج عنه قرار حاسم يقضي بتكوين جمعيات أو منظمات علمية وتربوية ، أو سياسية للنهوض بالمجتمع الإسلامي من جموده وتأخره ، واكتفيا بتأسيس جمعية سرّية ذات منهج سياسي ونظام داخلي صارم هي : « جمعية العروة الوثقى » ، وإصدار مجلة في باريس بهذا الاسم[1]، لكنّ حديثهما الشهير عن الإصلاح بالتعليم في مقابل الإصلاح السياسي مازال يثير نقاشا غنيا لدعاة الإصلاح في كل زمان ومكان ، وهذا جزء من حديثهما :

محمد عبده : أرى أن نترك السياسة و نذهب إلى مجهل من مجاهل الأرض لا يعرفنا فيه أحد ، نختار من أهله عشرة غلمان أو أكثر من الأذكياء السليمي الفطرة ، فنربّيهم على منهجنا ونوجّه وجوههم إلى مقصدنا ، فإذا أتيح لكلّ واحد منهم تربية عشرة آخرين لا تمضي بضع سنين أخرى إلاّ ولدينا مائة قائد من قواد الجهاد في سبيل الإصلاح ، ومن أمثال هؤلاء يرجي الفلاح .

جمال الدين الأفغاني : إنّما أنت مثبط ، نحن قد شرعنا في العمل ولا بدّ من المضي فيه ما دمنا نرى منفذا[2].

إنّ هذا النقاش بين محمد عبده وأستاذه جمال الدين الأفغاني يبيّن الخلاف في طريقة وأسلوب الإصلاح والوسائل المحقّقة للإصلاح المنشود التي اختلفت بينهما[3]، وذلك أنّ انفصال محمد عبده عن جمال الدين الأفغاني كان أمرا محتوما في الغالب بحسبان الفارق بين « عقلية الثائر» و« عقلية المربي » وبحكم الزمن نفسه[4].

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

2) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

3) - زيلوخة بوقرة : مرجع سابق ، ص 73 .

4) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 281 .

وفي موقف آخر نجد أنّ محمد عبده كان على النقيض من أستاذه جمال الدين الأفغاني فبينما كان السيد جمال الدين الأفغاني يريد الإصلاح عن طريق السياسة وتحرير الشعوب الإسلامية من الإستعمار الأوروبي وجمع كلمتها تحت ظلّ الخلافة العثمانية[1]، كان محمد عبده من أنصار التطوّر والإصلاح البطيء المكين[2]، حيث كان يؤمن برسالة العلم والموعظة الحسنة ، وينادي بضرورة تثقيف المسلمين وأخذهم بأسباب الحضارة الأوروبية الحديثة ، والنهوض بالأمّة بالتدريج دون تهوّر أو اندفاع وبعيدا عن السياسة ، ولذلك كان يقول : « ما دخلت السياسة شيئا إلاّ أفسدته »[3].

ولقد رأى محمد عبده من خلال تجربته أنّ الاهتمام بالتعليم وتربية الأجيال والابتعاد عن مشاكل الأفغاني ومشاغله السياسية هو الحلّ الصحيح ، وهذا ما أغضب أستاذه فأرسل إليه يعنّفه ويقول له : « كن فيلسوفا ترى العالم ألعوبة ولاتكن صبيا هلوعا » ، ولكنّ محمد عبده آثر وصمّم على انتهاج طريق الإصلاح[4].

ممّا لا شكّ فيه أنّ محمد عبده قد اختلف في منهجه الإصلاحي عن أستاذه جمال الدين الأفغاني ، فذلك لأنّ تركيزه الأكبر كان على الإصلاح الداخلي[5]، ومع ذلك فلا ننسى أنّه قد استفاد من أفكار أستاذه الأفغاني فارتبط به وبشخصيته ليتمّ معه الرسالة الإصلاحية للمسلمين التي يعمل من أجلها ، ومن ثمّ تعاون الرجلان خلال فترة وجود الأفغاني في مصر، وعندما رحل الأفغاني عن مصر استمرّ محمد عبده يدعو إلى الإصلاح حتى نفاه الخديوي توفيق إلى لبنان ، ومن هناك ذهب إلى باريس والتقى بالأفغاني وأصدرا هناك مجلة العروة الوثقى

---

1) - رأفت الشيخ غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، مرجع سابق ، ص 265 .

2) - محمد صبري : مرجع سابق ، ص 188 .

3) - رأفت الشيخ غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، مرجع سابق ، ص 265 .

4) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

5) - زيلوخة بوقرة : مرجع سابق ، ص 73 .

الناطقة بلسان جمعية العروة الوثقى[1]، وقد اتفق معه في أفكاره الداعية إلى تحرير العقل الإسلامي من الجمود الفكري والسخط على حكام المسلمين المستبدين ، وبأنّ وحدة المسلمين تحقّق نهضتهم ، وأن تكون الوحدة قائمة على مبادئ دستورية مع الأخذ بالعلم الحديث الذي نهضت به شعوب أوروبا[2].

ورغم أنّ محمد عبده قد تأثّر بأفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني إلاّ أنّ جمال الدين الأفغاني استفاد هو الآخر من بلاغة وفصاحة محمد عبده في الترويج للأفكار الإصلاحية التي شارك الرجلان في إظهارها ، وبذلك استحقّ محمد عبده اسم الأستاذ الإمام الذي أطلق عليه[3].

9- موقفه من السياسة :

أمّا على المستوى السياسي فمحمد عبده كان سياسيا بطبعه ، وفي ذلك يرى محمد رشيد رضا أنّه كان رجل سياسة وإن غلب عليه الدين[4]، وإن كان محمد عبده قد مارس السياسية من قبل مع أستاذه جمال الدين الأفغاني لكنّه لم يدم عليها[5]، وقد باين أستاذه جمال الدين الأفغاني أيضا في فهمه للعلاقة بين الدين والسياسة لأنّه رآهما يتعلقان ببعضهما ولا يتوازيان ضرورة[6].

وذلك لأنّ ممارسة محمد عبده للسياسة كانت ممتزجة بأعماله الأخرى ، فنجده كتب في السياسة ، وقدّم آراء ونظريات في أصول الحكم وإشكالياته ، وقدّم مطالب سياسية إلى

---

1) - رأفت الشيخ غنيمي : **التاريخ المعاصر للأمّة العربية الإسلامية (1416 هـ – 1996 م)** ، (ط 1) ، دار الثقافة: القاهرة ، 1991 ، ص 94 .

2) - رأفت الشيخ غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، مرجع سابق ، ص 283 .

3) - Kedawie , E : **Afghani and Abduh** , Lahore Pakistan , 1972 , p 1 .

4) - حسين ضناوي : **السيد رشيد رضا ونضاله السياسي** ، دار الإنشاء والصحافة للطباعة والنشر : طرابلس ، 1983 ، ص 67 .

5) - زيلوخة بوقرة : مرجع سابق ، ص 73 .

6) - عبد الحكيم العبد : مرجع سابق ، ص 109 .

الجهات المعنية في عصره ، وألقى خطبا سياسية وثورية أيضا في وسط الثورة العرابية كما شارك في حوارات سياسية ، ولكن لا يمكن أن نقول إنّه كان رجل سياسة بمعناها الاحترافي أو بمدلولها العملي ، لأنّ انشغاله بالمسائل الدينية ، التربوية ، القضايا الإجتماعية والثقافية قد طغت على إنتاجه الفكري ، وإن كانت جلّ نصوصه لا تخلو من السياسة ، غير أنّ مواقفه السياسية اتجاه الاستعمار الغربي لم تكن ثورية عملا وسلوكا وإن كانت مكثّفة طبيعة وطموحا ، باستثناء بعض المواقف التي سجّلت له في ظروف مختلفة[1].

ولقد تميّز المشروع الفكري التجديدي لمحمد عبده في المجال السياسي بالدعوة إلى مدنية الدولة والحكومة ، ونفي السلطة الدينية عن الحاكم ، ومناداته بحرّية الفكر من قيد التقليد[2]، أي أنّه اهتم بتحرير العقل المسلم من أسر التقليد ، وربطه بالمنابع الإسلامية الصافية[3]، كما حاول أن يضع تفكير المسلمين في خط انسجام وتوافق مع المكتشفات العلمية وظروف العصر الحديث ، وكانت لجهوده وأفكاره آثارها في النهضة الإسلامية[4]، وتأكيده على أهمية الحريات السياسية (حرّية الرأي ، الانتخاب والتعبير) ، ورفعها إلى مستوى الحقوق المقدسة ، هذا بجانب انفتاحه على الحضارة الغربية[5].

كما نجد أنّ محمد عبده قال عن نفسه وأهدافه : « لقد ارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين : تحرير الفكر من قيد التقليد ، وفهم الدين على طريقة سلف الأمّة قبل ظهور الخلاف ، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعه الأولى ، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لتردّ من شططه وتقلّل من خلطه وخبطه لتتمّ رحمة الله في حفظ نظام العالم الإنساني ، وأنّه على هذا الوجه يُعدّ صديقا للعلم باعثا على البحث في أسرار

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

2) - حسن محمد شافعي : **هل كان محمد عبده علمانيا ؟** ، مجلة الديمقراطية ، 2013/03/31 ، على الرابط الإلكتروني:
http : // democracy _ ahram . org . eg / News / 441

3) - يوسف القرضاوي : مرجع سابق ، ص 180 .

4) - أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

5) - حسن محمد شافعي : مرجع سابق .

الكون ، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة ، مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل ، كلّ هذا أعدّه أمرا واحدا »[1]، كما لا ننسى أنّه قام بكتابة بعض المقالات في السياسة ، منها واحدة بعنوان : (المستبد العادل) ، وأخرى بعنوان : (آثار محمد علي) ، وثالثة بعنوان : (الرجل الكبير في الشرق) ، ثمّ كتابات متفرقة عن رفضه للاحتلال الأجنبي وكل ذلك جعل محمد يحتلّ مكانة بارزة في الفكر السياسي ، الإسلامي ، العربي والمصري خاصة الفكر السياسي المتميز الذي قدّم لنا دورا بارزا في الحركة الوطنية[2].

10- مـــوقـفـــــه مـــن الثـــورة العـرابـيـــــة :

في عهد الخديوي توفيق الذي تولّى السلطة عام 1296 هـ / 1879 م واصل الاقتصاد تدهوره وتذمرت القطاعات المصرية في الجيش ، فاندلعت الثورة العرابية عام 1298 هـ / 1881 م مطالبة بإصلاحات كثيرة ، وقوبلت تلك المطالب في البدء بموافقة الخديوي إلاّ أنّ مصالح الدول الغربية وخاصة بريطانيا دفعت بها للتدخل واحتلال مصر عام 1299 هـ / 1882 م[3].

لقد كان لمحمد عبده دور في التحضير للثورة العرابية – أو الفتنة الأخيرة كما سمّاها هو بنفسه[4] – ككل المفكرين بما يكتبون ويقولون ، فقد رفعه إلى الحياة السياسية في الأعوام الأخيرة من حكم إسماعيل تأثير الأفغاني وتردّي أحوال مصر، فشارك في هذه الفترة في قيادة الجمعيات السرّية التي أسّسها الأفغاني في مصر، كما أسهم معه في تأسيس الحزب الوطني الحرّ الذي انضمّ إلى العرابيين عام 1881 م[5]، حيث قاوم محمد عبده السلطات

1) - يوسف القرضاوي : مرجع سابق ، ص 180 .

2) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

3) - أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

4) - علي شلش : **جمال الدين الأفغاني بين دارسيه** ، (ط 1) ، دار الشروق : القاهرة ، 1987 ، ص 12 .

5) - أمينة يوسف : مرجع سابق .

الأوروبية في مصر عدّة سنوات ، فحينما احتل الإنجليز مصر ناوأهم ، وشارك في مناصرة الثورة العرابية[1].

وعلى الرغم من أنّ محمد عبده لم يكن من المتحمسين إلى انطلاق التغيير الثوري السريع في البداية الأولى ، إلاّ أنّه لم يتردد عندما بدأ الهجوم البريطاني في الارتباط بالثورة فانضم إلى المؤيدين لها[2]، وأصبح واحدا من قادتها وزعمائها وقطب من أقطابها[3]، حيث اتصل بالشعب عن طريق التدريس والصحف ، وبدأ ينشر تعاليمه عن الحركة الدستورية ومكافحة الإستعمار فقبلها الكثير من أبناء الشعب[4]، والقيام بما في وسعه لتنظيم المقاومة الشعبية ، حيث التفّ حوله كثير من الوطنيين ، وانضم إليهم الكثير من الأعيان وعلماء الأزهر، واجتمعت حوله جموع الشعب وطوائفه المختلفة ، وامتزجت مطالب جنود الجيش بمطالب جموع الشعب والأعيان والعلماء ، وانطلقت الصحف تشعل لهيب الثورة ، وتثير الجموع ، وكان عبد الله النديم[5] من أكثر الخطباء تحريضا على الثورة .

---

1) - أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

2) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - إسماعيل أحمد ياغي ، محمود شاكر: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر** ، (ج 2) ، دار المريخ للنشر: الرياض ، 1993 ، ص 27 .

5) - عبد الله النديم (1252 – 1314 هـ / 1842 – 1896 م) أديب ، خطيب ، صحفي وسياسي مصري ، ولد لعائلة فقيرة فأرسله أبوه إلى الكتّاب ثم إلى المسجد ليتعلم شيئا من اللغة والحساب ليستطيع مساعدته في مهنته المتواضعة في مخبزه الصغير، أنشأ جريدة الأستاذ وجعلها منبرا وطنيا يناهض الإنجليز، انتقل بعدها إلى تركيا حيث مكث هناك حتى وفاته بمرض الدرن عن أربع وخمسين سنة .

- ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

وبعد هزيمة أحمد عرابي[1] تمّ القبض على محمد عبده وزجّ به في السجن حيث اتّهم بالتآمر مع رجال الثورة ، وكان ممن جهروا بخلع الخديوي ، وربّما كان هذا هو السبب الحقيقي في سجنه لمدة ثلاثة أشهر، ثمّ حكم عليه بالنفي ثلاث سنوات[2]، حيث ذكرت هذه الأحداث في جريدة الإعلام التي كتبت : « ولمّا احتلّ الإنجليز مصر ناوأهم – محمد عبده – وشارك في مناصرة الثورة العرابية ، فسجن 3 أشهر للتحقيق ، ونفي إلى بلاد الشام »[3].

ومن هذا يتضح أنّ محمد عبده ينفرد مع زميله في الجهاد عبد الله النديم في أنّ كلاّ منهما لم يتوقف عن الجهاد بعد الاحتلال الإنجليزي لمصر، كما حدث بالنسبة لغيرهما من زعماء الثورة العرابية[4].

ولقد أكّد البعض على أنّ محمد عبده لم يلتحق بالثورة العرابية رغم أنّها ضدّ مبادئه في الإصلاح إلاّ غيرة على وطنه ومواطنيه ، وأكّد البعض الآخر على أنّه اضطر إلى المشاركة لمساهمة الناس جميعهم فيها ، ولم يشأ أن يشذّ عنهم وهو نفسه أكّد هذا المعنى في مذكرة كتبها في السجن يدافع فيها عن نفسه[5]، حيث قال فيها : « لم تكن الثورة العرابية من رأيي ولكن لمّا منح الدستور انضممنا جميعا إلى الثورة كي نحمي الدستور »[6].

---

1) - أحمد عرابي (1257 – 1329 هـ / 1841 – 1911 م) زعيم سياسي مصري ومناضل وطني ، قاد حركة تحرير بلاده ضد الإستعمار الإنجليزي ، ولد في قرية هرية رزنة من قرى الزقازيق بمصر، وأقام في الأزهر سنتين ، ثمّ انتظم جنديا في الجيش ، وبلغ رتبة أميرلاي في أيام الخديوي توفيق ، وتوفي بالقاهرة .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

2) - الشيخ شريف : مرجع سابق .

3) - شوقي أبو خليل : **الإسلام وحركات التحرر العربية** ، (ط 1) ، دار الرشيد : دمشق ، 1976 ، ص 44 .

4) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 108 .

5) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 292 .

6) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 37 .

كان محمد عبده خطيب جمعية المقاصد الخيرية التي أنشئت في القاهرة سنة 1880 م وكان رئيسها الفعلي محمود سامي البارودي[1]، حيث احتفلت هذه الجمعية في مساء 13 فيفري سنة 1882 م بالتصديق على مشروع القانون الأساسي لمجلس النوّاب ، وخطب في الاحتفال الشيخ محمد عبده خطبة تدلّ على اتجاهه الفكري للثورة[2].

ممّا لا شك فيه أنّ لمحمد عبده موقف تاريخي مع الثورة العرابية عام 1881 م ، 1882 م ، حيث يقول العقاد في كتابه (عبقري الإصلاح محمد عبده) أنّ محمد عبده كان ثائرا ولكنّه لم يكن عرابيا ، كان يؤيد الثورة العرابية في أمرين :

أولهما : تنبيه الرأي العام وجمع كلمته للمطالبة برفع المظالم وإصلاح الحكم وإسناد المناصب الكبرى ووظائف الحكومة عامة إلى الوطنيين .

ثانيهما : هو التعويل على إنهاض الأمّة وإقامة نهضتها على أسس التربية والتعليم ، وإعدادها للحكم النيابي المستقل برغبتها الصادقة وقدرتها على صيانته من عبث الولاة المتسلطين[3].

إنّ من بين أهمّ المناصب التي تقلّدها محمد عبده في الثورة العرابية أنّه كان مستشارها وما قامت الثورة إلاّ بإذنه وتوجيهه ، وفي هذا تصريح لأحد قيادها يقول فيها : « وفي أحد الأيام اجتمع الضباط في ثكنات عابدين وأقسموا يمين الولاء لمصر على المصحف الشريف الذي كان يحمله محمد عبده ، وكفّ الضباط عن الجدال معه ، وراحوا يستشيرونه في

---

1) - محمود سامي البارودي (1255 – 1322 هـ / 1839 – 1904 م) شاعر مصري ورائد من رواد النهضة الشعرية في العصر الحديث ، ولد لأبوين شركسيين وشارك في حروب الدولة العثمانية وكان أحد القادة المرموقين ، ثمّ أصبح رئيسا للوزراء قبيل اندلاع الثورة العرابية التي شارك فيها ، وبعد فشلها نفي إلى جزيرة سريلانكا ، ومكث هناك ما يزيد على سبع عشرة سنة ، حيث عاد سنة 1900 م بناءا على نصيحة الأطباء بعد أن فقد بصره ، وفي الشهر الأخير من سنة 1904 م توفي بعد أن بنى مجدا شعريا لا يقلّ عن مجده الوطني .

– ينظر: أحمد الشويخات وآخرون : مرجع سابق .

2) - محمد صبري : مرجع سابق ، ص 208 .

3) - عباس محمود العقاد : **عبقري الإصلاح محمد عبده** ، دار النهضة : مصر، 1981 ، ص 134 .

أمورهم »[1]، وبالتالي كان محمد عبده في تلك السنوات قائدا وزعيما للثورة على الجمود والاحتلال ، التخلف والطغيان فيما بعد[2].

ورغم تأييد محمد عبده للثورة العرابية إلاّ أنّه كان يخالف العرابيين في إتباع الخطّة التي تؤدي إلى الشطط وتفتح باب التدخل العسكري من جانب الدول الأجنبية إنجلترا وفرنسا وكان يعيب على العرابيين قصر نظرهم وقلّة تبصّرهم ، ولكن عندما وقعت الواقعة وأصبح الإنجليز على أبواب مصر يدكّون حصون الإسكندرية[3] غيّر محمد عبده موقفه ، فانضم للعرابيين ووضع يده في أيديهم ، وبعد أن كان مناهضا للثورة أصبح مواليا لها وعاملا معها[4]، وبعد دخول الإنجليز إلى مصر جرى القبض على العرابيين ومنهم محمد عبده وحكم عليه بالنفي خارج مصر، فعاش في بيروت حتى رفع الحظر عنه وعاد إلى مصر عام 1889 م[5].

لقد رأينا أنّ محمد عبده في بداية الثورة العرابية كان يختلف عن العرابيين ، إذ كان من رأيه أنّ الحكم الفردي المستنير أجدى على الأمة وأنفع من قيام نظام دستوري في بلد لم يعد الإعداد الكافي لتقبل مثل هذا النظام ، خصوصا في بلد يفتقر إلى العلم ، ويقلّ فيه عدد المتعلمين ، وكان يرى أنّ الالتجاء إلى القوّة العسكرية لتحقيق الحكم النيابي قد يجرّ على البلاد الكثير من الويلات ، ومنها الاحتلال الأجنبي لمصر[6].

ولكن رغم رأي محمد عبده هذا بالعرابيين وبالرغم من موقفه الموالي للحكومة والمعارض للثوار ومطالبهم فقد التحق في النهاية بثورة عرابي وأصبح كما يؤكد أحمد أمين سببا من أسبابها إذ قال في هذا الصدد : « إن كان في أوّل أمرها سبب بعيد ... إلاّ أنّه يوم

1) - شوقي أبو خليل : مرجع سابق ، ص 44 ، 45 .

2) - علي شلش : مرجع سابق ، ص 5 .

3) - عباس محمود العقاد : مرجع سابق ، ص 134 .

4) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 289 .

5) - عباس محمود العقاد : مرجع سابق ، ص 134 .

6) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 108 .

– إن حميت النار– انقلب الشيخ محمد عبده إلى سبب قريب ، فلئن اتهم بأنّه من زعماء الثورة وحوكم عليها ، لقد كان ذلك لاحقا »[1].

وقد ظلّ محمد عبده على موقفه هذا يختلف عن العرابيين إلى أن تولّى محمود سامي البارودي رئاسة الوزارة ، فانضم إليهم وأصبح من رجالهم الأقوياء المدافعين عن مبادئهم ، المناهضين للخديوي توفيق وللتدخل الأجنبي ، وعندما ضرب الأسطول الإنجليزي ميناء الإسكندرية أخذ محمد عبده يكتب المقالات الطوال الممتلئة قوّة وحماسة داعيا المصريين إلى التطوّع في صفوف الجيش ، والتبرع بما لديهم من مدخرات دفاعا عن وطنهم وصيانة لكرامتهم[2].

لقد أدّى محمد عبده دوره كاملا في ثورة عرابي ، وبخاصة حين أفتى مع إخوانه في الأزهر بخلع الخديوي توفيق لتعاونه مع الإنجليز، وهذه خطوة لا يقدر عليها ، ولا يقدم عليها إلاّ صاحب عقيدة أحسّ واقعه وآلام شعبه ، وعرف أنّ بريطانيا تكيد بحقد صليبي على شعب عربي مسلم[3].

وفي الأخير نجد أنّ كلّ مواقف محمد عبده من الثورة العرابية وتأييده لها وجهوده فيها باءت بالفشل في سياسته المعتدلة لأسباب كانت في الواقع أسباب الثورة المباشرة التي لخّصها حسب قوله : « ولكن حال دون بلوغ تلك الأماني أمور منها منشؤه رياض باشا نفسه وبعض النظار، ومنها ما له علاقة بالجانب الخديوي ، ومنها ما سببه امتداد السلطة الأجنبية الجديدة ، ومنها نهوض الساخطين لاستعمال ما وجدوا في ذلك من الوسائل لإثارة الفتنة وقلب وزارة رياض باشا »[4].

---

1) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 289 .

2) - محمد محمود السروجي : مرجع سابق ، ص 108 .

3) - شوقي أبو خليل : مرجع سابق ، ص 45 .

4) - محمد صبري : مرجع سابق ، ص 188 .

11- مـــوقـفـــــه مـــن الاستبـــــداد السيـــــاســي :

إنّ من بين أهمّ ما دعا إليه محمد عبده هو الإصلاح السياسي ، حيث نجده قال في هذا الصدد : « ... وهناك أمر آخر كنت من دعاته ، والناس جميعا في عمى عنه وبعد عن تعقّله ، ولكنّه هو الركن الذي تقوم عليه حياتهم الإجتماعية ، وما أصابهم الوهن والضعف والذلّ إلاّ بخلو مجتمعهم منه ، وذلك هو التمييز بين ما للحكومة من حقّ الطاعة على الشعب وما للشعب من حقّ العدالة على الحكومة ، نعم كنت في من دعا الأمّة المصرية إلى معرفة حقّها على حاكمها ، وهي لم يخطر لها هذا الخاطر على البال من مدّة تزيد على العشرين قرنا ، دعوناها إلى الاعتقاد بأنّ الحاكم وإن وجبت طاعته هو من البشر الذين يخطئون وتغلبهم شهواتهم ، وأنّه لا يردّه عن خطئه ولا يوقف طغيان شهواته إلاّ نصح الأمّة له بالقول وبالفعل ، جهرنا بهذا القول والاستبداد في عنفوانه ، والظلم قابض على صولجانه ويد الظالم من حديد ، والناس كلّهم عبيد له أيّ عبيد »[1].

ثمّ يواصل في موضع آخر فيقول : « ولم أكن في كل ذلك الإمام المتبع ، ولا الرئيس المطاع ، غير أنّي كتبت روح الدعوة وهي لا تزال بي في كثير ممّا ذكرت قائمة ، ولا أبرح أدعو إلى عقيدتي في الدين ، وأقارب بإتمام الإصلاح في اللغة وقد قارب ، أمّا أمر الحكومة والمحكوم فتركه للقدر يقدره ، وليد الله بعد ذلك تدبره ، لأنّي قد عرفت أنّه ثمرة تجنيها الأمّة من غراس تغرسه ، وتقوم على تنميته السنون الطوال ، فهذا الغراس الذي ينبغي أن يعنى به الآن ، والله هو المستعان ».

ويقول محمد عبده في موضع آخر بنفسه أيضا : « وكنت أنتقد الحكومة بشدّة في الجريدة الرسمية ، وكنت لا أضيق على الجرائد باعتباري رئيس قلم المطبوعات »[2].

---

1) - يوسف القرضاوي : مرجع سابق ، ص 181 .

2) - ألفريد سكاون بلنت : مرجع سابق ، ص 330 .

وفي خطبة أخرى لمحمد عبده في الإسكندرية قبل الاحتلال الإنجليزي قال فيها : « إنّكم معشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد وربيتم بحجر الاستبداد ، وتوالت عليكم منذ زمن الملوك الرعاة حتى اليوم ... وأنتم صابرون بل راضون ، تناوبتكم أيدي الرعاة ... وكلّهم يشقّ جلودكم بمبضع نهمه ، ويهيض عظامكم بأداة عسفة ، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حسّ لكم ولا صوت ... »[1].

ومن خلال هذه المقولات نجد أنّ محمد عبده قاوم المستبدين قولا وفعلا حتى اعتقلوه ، وأقرّ بأنّ خصيان الخديوي قد ذهبوا إلى زعماء الوطنيين في السجن وضربوهم وأهانوهم ، وكان محمد عبده نفسه أحد هؤلاء المساجين ، وقد وقعت به الإهانة مثل غيره كما يقول سكاون بلنت[2].

12- موقـفـه مـن الاحتـلال البـريطانـي :

أمّا عن حقيقة موقف محمد عبده من الاحتلال الإنجليزي لمصر من حيث الرضى أو عدم الرضى بهذا الاحتلال فنحن لا نشكّ لحظة في أنّه كان ضدّه ، وأنّه كان ساعيا – وإن يكن بطريقته الخاصة – لتقريب اليوم الذي يزول فيه هذا الاحتلال ، ومن تعليقات له ومحاورات وآراء متناثرة نلمس هذا الموقف الأصيل[3].

وهو الأمر الذي لم يختلف فيه اثنين حول موقف محمد عبده وعداؤه لاحتلال الإنجليز مصر، وكراهيته لهذا الاحتلال ، وثقته بزواله ، وعمله من أجل حرّية البلاد[4]، حيث أنّه خلال فترة نفيه زار لندن ودافع فيها عن حقّ مصر في جلاء الإنجليز عنها[5]، وقال في هذا الصدد : « إنّ العمل على إخراج الإنجليز من مصر عمل كبير جدا ، ولا بدّ في الوصول

---

1) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 333 ، 334 .

2) - ألفريد سكاون بلنت : مرجع سابق ، ص 330 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 92 .

4) - محمد الصياد : مرجع سابق .

5) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

إلى الغاية منه في السير في الجهاد على منهاج الحكمة ، والدأب على العمل الطويل ولو لعدّة قرون »[1].

أمّا الأمر الذي اختلف فيه فهو الأسلوب والآلية التي ينبغي إتباعها لبلوغ الغاية وتحرير البلاد من هذا الاحتلال ، فمحمد عبده قد حارب الاحتلال مع العرابيين وكان ثوريا يومئذ ، وجارى أستاذه الأفغاني في سلوك الطريق الثوري لمناهضة هذا الاحتلال ، وهو في المنفى شارك في تنظيم العروة الوثقى السري ، ولكنّه بعد العودة من المنفى سلك طريق التربية والتعليم ، وتكوين القيادات الفكرية المتحررة والمستنيرة ، ظنّا منه أنّ هذا الطريق التدريجي سوف يثمر ولو بعد أزمنة طويلة لتحقيق حرّية البلاد عندما تنمو شخصيتها فتصبح أعظم وأقوى من قدرات هذا الاحتلال[2].

وإذا كانت مناهضة محمد عبده للنفوذ والاحتلال الإنجليزي إبّان الثورة العرابية قضية ليس عليها خلاف ، فإنّ الوهم الذي يسيطر على البعض فيجعلهم يقولون إنّ الرجل قد غيّر موقفه هذا بعد فشل الثورة العرابية ، إنّ هذا الوهم في حاجة إلى تبديد ، وبالرغم من أنّ حديثنا عن دوره في تنظيم العروة الوثقى السري المناهض للإنجليز ما يكفي لتبديد هذا الوهم إلاّ أنّ المزيد من الحقائق هي أمر مفيد ، بل ضروري في إبراز موقفه الوطني بعد فشل العرابيين[3]، حيث أكّد الباحثون أنّه كان ضد التدخل الأجنبي ، وهذا حدث ومصر لم تزل مستقلّة وغير محتلّة رسميا[4].

وعندما قام برحلته الشهيرة إلى الجزائر وتونس سنة 1903 م ، سبقته إلى دار الحاكم الفرنسي للجزائر تقارير من بعض الموالين لفرنسا في مصر ، تتهمه بأنّه يستهدف من رحلته هذه إضعاف نفوذ فرنسا في شمالي إفريقيا ، لأنّه من أنصار سلطة الاحتلال

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 37 .

2) - محمد الصياد : مرجع سابق .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 88 .

4) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 295 .

الإنجليزي التي تنافس الفرنسيين في امتداد النفوذ والاحتلال فصورة الرجل عند هؤلاء أنّه عميل للإنجليز، أو على أحسن الفروض مفضّل لاحتلالهم على الاحتلال الفرنسي الذي يتدخل في عقيدة المسلمين المحكومين بسلطانه ، على عكس موقف الإنجليز وأنّه لذلك سيؤلّب الجزائريين على الحكم الفرنسي هناك[1].

إن محمد عبده حرّض المسلمين في العروة الوثقى على عدم التعاون مع المحتلين فقال في هذا الصدد : « إنّ دين المسلمين يرسم عليهم أن لا يدينوا لسلطة من يخالفهم ، بل الركن الأعظم لدينهم طرح ولاية الأجنبي »[2]، وبالتالي فمحمد عبده دعا إلى الإتحاد العام أمام العدوّ الخارجي ، ونسيان الصراعات ، النزاعات والخلافات الداخلية أثناء الخطر في سبيل طرد المستعمر الأجنبي أيّا كان نوعه[3].

13- موقفه من الدولة العثمانية :

أمّا موقف محمد عبده من السلطة العثمانية ، وحق الأتراك في أن تستمرّ سلطتهم على العرب باسم جامعة الدين والملّة ، فإنّه موقف يكشف لنا عن صفحة أخرى في كتاب فكره القومي ، وعن ملامح لفكر عربي قومي يستحقّ الاستخلاص والتأمل والدراسة على ضوء عصره وما صاحبه من ظروف وملابسات[4].

لقد رأى محمد عبده أنّ الأتراك غير قادرين على قيادة الأمّة الإسلامية للرقي والرفعة ويتمنّى أن يتولّى العرب خلافتهم بأنفسهم ، ولكنّه كان يخشى أنّ الدعوة للتخلص من حكم الأتراك الغاشم قد يؤدّي إلى نشوب صراع بين العرب والأتراك يضعفهم ويجعلهم لقمة

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 91 .

2) - مفيدة محمد إبراهيم : مرجع سابق ، ص 307 .

3) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 284 .

4) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 111 .

سائغة للأوروبيين الذين يتحينون الفرصة للانقضاض على أملاك الدولة العثمانية ، وهو ما حدث بالفعل بعد الحرب العالمية الأولى[1].

وفي موقف آخر نجد أنّ محمد عبده لم يكن من أنصار زوال الخلافة العثمانية ، ولكنّه كان من أنصار إصلاحها وتجديد شبابها ، على أن تقف عند حدود السلطة الروحية التي تلعب دورا في التضامن الإسلامي ودفع حركة الترقي الشرقية إلى الأمام ، ومحمد عبده – والحقّ يقال – كان قليل الثقة إلى أبعد الحدود في تمكن الأتراك العثمانيين من القيام بهذا الدور بالنسبة للإسلام والمسلمين ، وصديقه بلنت يكتب عن رأيه هذا فيقول : « كان الشيخ محمد عبده فيها يختص بالخلافة يشاطر كل المسلمين المستنيرين رأيهم في وجوب إصلاحها وتجديدها على قواعد روحية ، وقد شرح لي كيف يؤدّي حسن استخدام سلطتها على وجه شرعي إلى مساعدة حركة الترقي الأدبي ، وكيف أنّ أصحاب هذه الخلافة أهملوا بحيث صاروا غير أهل لإمارة المؤمنين ، والواقع أنّ الأسرة العثمانية لم تحفل بالخلافة مثقال ذرّة خلال القرنين الماضيين ، ولم يبق لها حقّ ولا سلطان ، حق السيف ولا سلطانه ، على أنّهم ما زالوا أقوى أمراء المسلمين ، ومن ثمّ يستطيعون القيام بالشطر الأكبر من العمل لخير الجميع ، أمّا إذا لم يمكن حملهم على القيام بواجبهم فلا مناص من البحث عن أمير آخر للمؤمنين »[2].

وطوال فترة الثورة العرابية ظلّ محمد عبده على وفائه لموقفه هذا ضدّ محاولات الأتراك الانتقاص من استقلال مصر، واستعداده هو وقادة الثورة لانتهاز فرصة التدخل التركي لقطع ما تبقّى من خيوط بين مصر والآستانة تنتقص من استقلال البلاد ، فيكتب بلنت عن أحداث 15 جوان سنة 1882 م فيورد برقية من لويس صابونجي في ذلك التاريخ نقرأ فيها : « إنّ نديم ، عرابي وعبده يتحدّون الباب العالي علنا » ، كما يكتب : « لقد كانت الحوادث الأخيرة باعثا بين الوطنيين على كراهة الأتراك والشراكسة والسلطان نفسه ، وقد

1) - أحمد لطفي السيد : مرجع سابق .

2) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 111 ، 112 .

سمعت سامي وعبده ونديما يلعنون السلاطين والأمم التركية من عهد جنكيز خان وهولاكو إلى عبد الحميد ، وقد تألّف حزب كبير يستعدّ لإعلان الإستقلال عن تركيا إذا تدخّل الأتراك في مصر تدخلا حربيا وقد قال نديم ونحن راجعون من شبرا : إنّه سيهدم عرش السلطان قبل أن يموت »[1].

ونحن نعتقد أنّ موقف محمد عبده هذا المناهض للأتراك العثمانيين ، والمعارض لسلطانهم على العرب ومصر بالذات ظلّ هو موقفه القومي الوطني الأصيل ، وذلك بالرغم من الكلمات التي اضطرته الظروف إلى أن يمدح بها السلطان العثماني وخلافته ودولته ، خصوصا عندما اضطرّته ظروف المنفى أن يعيش في نطاق السلطة العثمانية المباشرة في بيروت[2].

وعندما يعرض محمد عبده إلى اللغات التي يتّم بها التعليم ، وكانت التركية تزحف على مكان العربية بالمشرق العربي العثماني ، وكان التعريب مطلبا وطنيا وقوميا هناك ، يحدّد أنّ اللغة التركية لا بدّ من تعلم العرب لها حتى يتيسّر لهم العلم ، ويذكر في الثناء عليها أضعاف ما ذكر في الثناء على اللغة العربية فقال : « إنّه لا يتيسّر لنا العلم إلاّ بتعلم لغتين : اللغة التركية لأنّها لغة دولة قامت بشأن الممالك الإسلامية ما يقرب من سبعة قرون ، وقد تكلّم فيها من الأفاضل والعلماء جمّ غفير ، نحن في حاجة إلى الإستفادة من معارفهم ، ثمّ هي اللغة الرسمية في الممالك العثمانية ، فيها حياتنا السياسية ، وبها نقف على هدى مولانا الخليفة الأعظم أيّده الله بنصره ، واللغة العربية وهي لغة القرآن الشريف ، وكتب الشرع المنيف » ، وهو بعد ذلك يخرج اللغات الأوروبية مثل الفرنسية وغيرها من اللغات من إطار لغات العلوم في الوقت الذي أدخل التركية في هذا النطاق ، وتحدث عنها هذا الحديث[3].

---

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 114 .

2) - نفسه ، ص 114 ، 115 .

3) - نفسه ، ص 116 .

وهكذا شهدنا ذلك الموقف الأصيل لمحمد عبده من السلطنة العثمانية وتسلّطها على غير الأتراك من الأجناس والقوميات باسم الإسلام وجامعة الملّة والدين ، كما شهدنا تلك المواقف التي اضطرته إلى إعلان ما يخالف موقفه هذا الأصيل[1].

14- مـــوقـفـــه مـــن الأديـــان الأخـــرى :

أمّا فيما يتمثّل موقف محمد عبده من الأديان الأخرى فقد ردّ على فرح أنطوان صاحب مجلة (الجامعة) بخصوص ما كتبه حول علاقة الإسلام بالمسيحية ، وجاء ردّه مبينا دعوة الإسلام إلى احترام الأديان الأخرى ، وكونه عقيدة للدنيا والدين معا لا فصل بينهما ، ولعلّ أهمّ ميزة تميزت بها حركته – في رأينا – هي ميزة التسامح مع أصحاب الأديان المخالفة ، وحتى مع خصوم الإصلاح أيضا ، فبخصوص المسألة الأولى نجده قد دعا إلى الإتحاد ، التسامح والتعاون بين الأديان السماوية الثلاثة – اليهودية ، المسيحية والإسلام – وبسبب وجود طوائف يهودية ومسيحية في مصر ألغى محمد عبده عنصر الدين من مقومات الوطنية المصرية ، وفيما يتصل بالمسألة الثانية فإنّه كان يدعو خصومه من الطرقيين والفقهاء الرسميين الجامدين إلى التفاهم والتسامح ، والابتعاد عن التعصب والمغالاة وإتّباع الدين من الطرق الميسرة ، ومحاولة إفهامهم أنّ الدين واحد ، وأنّ الربّ واحد ، فلماذا الاختلاف ؟ ، ولماذا التعصب ؟ ، ولماذا تقديس البشر؟

ومن هذه النتيجة نستخلص نتيجة أخرى وهي أنّ العنف ، التطرف والمغالاة في الدين الذي تميّزت به بعض الجماعات في السنين الأخيرة لم يكن كما يدّعي البعض نتيجة من نتائج الإصلاح الإسلامي الذي دعا إليه محمد عبده في مصر، بل على العكس من ذلك فإنّ كثيرا من زعماء الحركات المتطرفة في مصر هاجموا محمد عبده ووصفوه بالعلمانية ،

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 119 .

وعابوا عليه أن يكون رجلا قوميا ووطنيا ، مع أنّ الإنسان لا يمكن أن يكون كامل الشخصية إلاّ بهذه المقومات[1].

لقد اتّبع محمد عبده أستاذه الأفغاني في موضوع تقارب الأديان ، فقد أسّس بعد عام 1885 م جمعية سرّية للتقريب بين الأديان شارك فيها عدد من رجال الدين المستنيرين ممن ينتمون إلى الأديان السماوية الثلاثة ، وهو لا يشنع على النصارى شركهم وادعاء الربوبية لعيسى عليه السلام ، ويحصر الخلاف معهم بأنّهم لم يؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، حيث يقول في هذا الصدد : « وليس المراد بنبذهم الكتاب وراء ظهورهم أنّهم طرحوه برمّته وإنّما المراد أنّهم طرحوا جزءا منه وهو ما يبشّر بالنبي صلى الله عليه وسلم » ، وعندما تعرّض لموضوع الزواج من كتابية قال : « فهي تدين بوجوب عمل الخير وتحريم الشرّ والفرق الجوهري العظيم بينهما هو الإيمان بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم » وقرّر هذه القاعدة في كتابه (الإسلام والنصرانية) ، وذكر بأنّ الأصل السابع من أصول الإسلام الثمانية مودة المخالفين في العقيدة[2].

15- مـــوقـفـــــه مـــن الأوضـــــاع الاجتمـــاعـيـــة :

ونحن إذا شئنا الانتقال إلى موقف محمد عبده من الأوضاع الإجتماعية نجد فيه موقف المتعاطف مع الفقراء ، المناصر للعمل الاختياري والمعادي لأسلوب حياة الأغنياء المتبطلين ولنظام الطبقات المتوارث ، أمّا إذا شئنا تجاوز هذا الموقف الإجتماعي العام طلبا لتصوّره المحدد لما يجب أن يزول من هذا الواقع الإجتماعي وما يجب أن يكون فإننا نستطيع أن نلتقي من خلال نصوصه بعدد من الأفكار الهامة والمحددة ، وذلك مثل :

1) إيمانه بالتكافل بين الأمّة وضرورة الجماعية لحياة الإنسان .

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

2) - السيد عمر : مرجع سابق ، ص 277 .

2) اعتباره أنّ الظلم الاقتصادي هو أشدّ أنواع الظلم الذي يقع على الإنسان من أخيه الإنسان .

3) تنبيهه إلى المخاطر التي تحدّق بالمجتمعات من جرّاء تحكّم سلطان رأس المال فيها .

4) تحديده لما يجب على الأثرياء في مجال الإنفاق العام ونظرته لطبيعة الملكية ، وموقفه من الاشتراكية وعلاقتها بالإسلام .

وهي أفكار ومواقف حدّد بها محمد عبده تصوّره للسلبيات التي يجب القضاء عليها ، والإيجابيات التي يجب العمل لإقامتها وتثبيتها في حياة الناس الإجتماعية منذ ما يقرب من قرن من الزمان[1].

إنّ في واقع الأمر أنّ محمد عبده كان سابقا لعصره في التنبيه إلى أهمية المجتمع المدني ، حيث رأى أنّ دور الحكومة ينبغي أن يتمثّل في تشجيع الجمعيات الخيرية وأن يكون محور خطابها السياسي هو بعث الغيرة في القلوب للقيام بالواجب ، وهو المحبّة الوطنية والألفة والتعاون على جلب المنافع العامّة ورفع بلوى الفقر الناشئ من الشقاق والتباغض المتولّد من الجهل بحقيقة الحياة السياسية ، ومن الجمعيات التي عنى بها في هذا الصدد الجمعية الخيرية الإسلامية بالإسكندرية وجمعية المقاصد الخيرية بمصر، وأكّد محمد عبده على تطابق التعليم فيها مع ما في المدارس الحكومية مع مراعاة الفقراء والأيتام ، وإنشاء جمعية خيرية لتعليم العلوم واللغات والصنائع يموّلها أهل البرّ والإحسان من الذوات ، ومستشفى للمرضى ومكتبة عامّة ودار للضيافة ومواساة الأرامل وتربية الأيتام ، ومساندة من يواجه ضائقة في النفس أو المال[2].

كما نجد أنّ محمد عبده حاول إصلاح اقتصاد البلاد حسب ما فهمه من نصوص القرآن الكريم أو السنة النبوية ، وبيّن أنّ منهج الإسلام هو منهج السلام ، ودعا إلى تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، وتحريم الربا والقمار، ومنع جعل المال دولة بين الأغنياء والحجر

1) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 137 .

2) - السيد عمر : مرجع سابق ، ص 277 .

على السفهاء في أموالهم ، وغير ذلك من مبادئ الإسلام السامية لإصلاح الأحوال الاقتصادية[1].

ومن القضايا الإجتماعية الأخرى التي تناولها محمد عبده أيضا قضية تعليم أبناء الفقراء الذين حرموا من التعليم في مدارس التعليم العام نتيجة عدم قدرتهم على دفع المصروفات الباهظة ، فحاول الإسهام في علاج هذه المشكلة بإنشاء مدارس أهلية تقوم بتعليمهم بالمجان كما نادى بضرورة إنشاء جامعة مصرية إيمانا منه بأنّ البلاد في حاجة إلى تعليم عال مثمر يقوم على البحث العلمي ، حرّية الفكر، وتنمية المجتمع وعلاج مشكلاته[2].

إنّ فكر محمد عبده الإصلاحي بطبعه أدّى به إلى كتابة عدد من المقالات التي أبرزت أهمّ أفكاره الإصلاحية والإجتماعية ، ورغم أنّها لا تقدّم تصورا كاملا إلاّ أنّها أظهرت معارضته للغنى الفاحش ، كما كانت دعوته إلى التكافل الإجتماعي حاضرة[3]، وبذلك فقد بلغ عدد ما افتتحه من مدارس للفقراء عند وفاته (سبعا) كانت غوثا لمصر من سياسة إغلاق المدارس التي نفذتها بريطانيا في مصر منذ بدء الاحتلال[4].

وفي موقف آخر نجد أنّ محمد عبده يتحدث عن تلك الأوضاع التي كانت سائدة آنذاك وفي ذلك يقول في مذكراته في هذا الصدد : « وبهذا وما سبقه تنبّهت الأفكار وبدأت الحياة الإجتماعية تدبّ في جسم أمّة مزّقها الظلم ، وانبعثت النفوس تطلب ما شعرت به من حاجاتها ، فتألّفت بعض الجمعيات الخيرية إسلامية وقبطية لمساعدة الفقراء بالمعونة المادية وأولادهم بالتربية ، ولم يكن يسمع بمثل ذلك في مصر من قبل »[5].

---

1) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 21 ، 22 .

2) - محمد فوزي عبد المقصود : مرجع سابق ، ص 169 .

3) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

4) - عبد العزيز الدسوقي : **تطور النقد العربي الحديث في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 ، ص 50 .

5) - محمد صبري : مرجع سابق ، ص 188 .

ورغم الأوضاع الإجتماعية الصعبة التي كانت سائدة آنذاك إلاّ أنّ محمد عبده لم يبق مكتوف الأيدي ، بل حاول أن يقدّم حلولا مناسبة لمجتمعه حسب ظروفه الخاصة ، فنجده قد راعى عنصرين أساسيين في اجتهاده لإصلاح المجتمع وهما :

- قيم الإسلام .
- روح الحضارة الحديثة[1].

16) موقفه من إنشاء الجامعة الإسلامية :

قدّم رواد النهضة في القرن التاسع عشر مجهودات متنوعة ومتعددة في التعامل مع المشكلة الحضارية والإجابة عليها ، وكان ذلك نتيجة وعي بالوضع الكارثي الذي آل إليه العالم الإسلامي آنذاك ، لكنّهم اختلفوا في تصوراتهم حول تحقيق صحوة العالم الإسلامي[2].

وفي أواخر القرن 19 م وأوائل القرن 20 م كانت حركات الإصلاح الدينية السابقة لمحمد عبده تمثّل مقدمات لظهور فكرة الجامعة الإسلامية ، حيث اهتمت بإصلاح الدين من جهة ، والدولة من جهة ثانية ، ومقاومة المستعمر من جهة ثالثة ، وقد حمل لواء الدعوة إلى هذه الفكرة الإصلاحية وتأسيس الجامعة الإسلامية جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده[3]، حيث أشار رشيد رضا إلى ذلك فقال أنّ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده هما في مقدمة الداعين إلى إنشاء الجامعة الإسلامية[4].

---

1) - عبد الكريم بوصفصاف : مرجع سابق .

2) - حوار مع الدكتور سمير أبوزيد : **الثورات العربية ... وسؤال النهضة** ، (ج 1) ، جريدة الأهرام ، 05 / 04 / 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // nama - center . com / Dialogue Datials . aspx? id = 9 .

3) - جمال عبد الهادي محمد مسعود ، علي لبن : **المجتمع الإسلامي المعاصر (المدخل)** ، (ج 1) ، دار الوفاء : المنصورة ، 1994 ، ص 64 .

4) - أنور الجندي : مرجع سابق ، ص 181 .

ولقد ارتبط بفكرة الجامعة الإسلامية شخصيات أدّت دورا بارزا في الترويج لها وكانت لها مواقفها المعينة من الفكرة[1]، ومن الداعين لها فإلى جانب جمال الدين الأفغاني الذي تأثّر العديد من المفكّرين بتياره المنادي بالجامعة الإسلامية كان تلميذه محمد عبده أكبر نصير للفكرة في مصر[2]، وذلك من خلال المواقف الفكرية الخصبة والهامّة التي خلّفها لنا هذا المفكر الكبير، ونحن نستطيع أن نلتمس موقفه[3] الذي اتّفق مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في الدعوة إلى الجامعة الإسلامية بزعامة الدولة العثمانية التي اعتبر أنّ المحافظة عليها ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله ، فإنّها وحدها – في رأيه – الحافظة لسلطان الدين ، الكافلة لبقاء حوزته وليس للدين سلطان سواها[4].

وفي موضع آخر نجد أنّ العديد من المفكّرين المنادين بتيار الأفغاني المنادي بالجامعة الإسلامية والذي كان على رأسهم تلميذه محمد عبده التي ظهرت هذه الدعوة في بدايتها على منبر صحيفة العروة الوثقى آنذاك[5]، وممّا دعا إليه أيضا في هذا المجال الوحدة الإسلامية ، والنهوض من الضعف حتى تلحق الأمّة بالأمم والدولة بالدول القوية ، فيعود للإسلام شأنه[6]، أمّا دعاتها الآخرين فإنّهم أرادوا إقامة دولة إسلامية عامّة بأساليب قديمة ، فكانوا كمن يريد السير إلى الأمام بينما عيونهم خلف رؤوسهم[7].

وفي موقف آخر نجد أنّ مفهوم الإصلاح ارتبط بتيار الجامعة الإسلامية الذي كان وراءه رجال عظماء كجمال الدين الأفغاني ، محمد رشيد رضا ، ومحمد عبده الذين دعوا

---

1) - رأفت الشيخ غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، مرجع سابق ، ص 265 .

2) - عمار لعباشي : **جمال الدين الأفغاني وتأثيره الفكري على العالم الإسلامي مصر– نموذجا –** ، رسالة ماستر، جامعة بسكرة ، 2013 ، ص 44 .

3) - محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 105 .

4) - رأفت الشيخ غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، مرجع سابق ، ص 284 .

5) - سليم إسحاق : **الجامعة الإسلامية** : مجلة الأقلام ، على الرابط الإلكتروني :
www . alaklaam . net / Fomber / momber , php .

6) - محمد إبراهيم عبد الرحمان : مرجع سابق ، ص 21 .

7) - عبد العزيز سليمان فواز : **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، دار الفكر العربي ، ص 221 .

إلى التمسك بتعاليم الدين الإسلامي الصحيح ، ومحاربة البدع والخرافات وكلّ ما يخالف كتاب الله وسنّة رسوله[1]، على أن تكون زعامة الجامعة الإسلامية لأيّ مسلم صالح دون اشتراط أن يكون عربيا ، والعمل على تجديد الإسلام ، وتحريره من الجمود ، وتنقيته من الشوائب ، واستعادة مجده السابق[2].

ومن خلال كلّ هذا نجد أنّه لا شكّ في أنّ محمد عبده يعتبر عمودا من أعمدة التيار الإسلامي في مصر المنادي بإنشاء جامعة إسلامية ، يلتقي في الاتجاه الخاص بضرورة أن يشكّل الإسلام أساسا قوميا يمكنه التصدّي للاتجاهات العلمانية التي كانت تتضمّنها النزعات القومية الحديثة[3]، وكان محمد عبده في ذلك هيناً ليناً يريد الجامعة الإسلامية عن طريق التربية والتعليم[4].

1) - أسعد لهلالي : **الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر(1902 – 1993 م)** ، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة ، 2006 ، ص 84 .

2) - جمال عبد الهادي ، علي لبن : مرجع سابق ، ص 64 .

3) - عبد الرحمان عواطف : مرجع سابق ، ص 26 .

4) - حوار مع الدكتور سمير أبوزيد : مرجع سابق .

الخـــاتمـــــة

وكنتيجة نهائية لهذه الدراسة اتضح لنا أنّ شخصية الشيخ محمد عبده من الشخصيات الثرية بأعمالها وجهودها الإصلاحية نظرا لمستواها الفكري والعلمي ، وإيمانها الراسخ بالحفاظ على المقومات الشخصية للأمة العربية الإسلامية ، لذلك فقد كرّس كلّ وقته وماله ، فكره وجهده دفاعا عن اللغة ، الدين والوطن ، وبعد هذه الدراسة يمكن أن نلخص أهمّ النتائج التي تمّ التوصل إليها :

- ✓ أنّ الشيخ محمد عبده رائد من رواد الإصلاح المسلمين في مصر والعالم العربي والإسلامي كابن تيمية وابن عبد الوهاب ورفاعة وأحمد خان وغيرهم .
- ✓ كانت حركته حركة إصلاحية ، اجتماعية وأدبية في المقام الأول .
- ✓ إيمانه بضرورة الوحدة الإسلامية ودفاعه عن العروبة والإسلام تحت أيّ راية حتى لو كانت هذه الراية للخليفة العثماني المستبد ، ومحاربة التفرق والتعصب .
- ✓ انتقاده للانحرافات الإجتماعية ، السياسية والدينية ، ومزجه للسياسة بالتربية ، لأنّ السياسة في بدايتها تقوم على التربية ، كما حارب الظلم ، البدع والخرافات .
- ✓ دفاعه عن الإنسان بصفته أسمى المخلوقات ، ودعوته إلى تحكيم العقل بصفته أعلى ما عنده من صفات ، وحثّه على التزود بالمعارف والعلوم ، وتبصيره بمسؤولياته إزّاء نفسه وغيره .
- ✓ دعوته إلى رفض ومقاومة التدخل الأجنبي أو ما نسميه الإستعمار في جميع أشكاله ، ولا سيما الإستعمار الإنجليزي ، كما قاوم الاستبداد بصفته معطلا لحركة الإنسان وقاتلا لملكات العقل .
- ✓ دعا الإمام محمد عبده دعوة صريحة إلى النهضة والنموّ والتطوّر.
- ✓ إنّ الأستاذ الإمام محمد عبده لا يقلّ شأنا عن سارتر إن لم يتفوق عليه فقد أرسى دعائم مدرسة إصلاحية أساسها التربية ومنهجها إصلاح شؤون المجتمع والارتقاء به ، وهو أحد العباقرة الذين تجاوز تأثيرهم حدود الزمان والمكان .

- ✓ تأثّر الشيخ محمد عبده بأفكار أستاذه جمال الدين الأفغاني الإصلاحية التي عمد على تطبيقها ، وبذلك حمل مشعل الإصلاح بعد وفاة أستاذه .
- ✓ وضع عبده نصب عينيه إصلاح الأزهر كما يؤكد البهي بإدخال العلوم الأوروبية إلى مناهجه بعد معايرتها بمعاييرنا الإجتماعية والثقافية الإسلامية .
- ✓ ضرورة إحياء الفكر الإسلامي الصحيح ، والاستفادة من تراثنا العلمي ، وإصلاح المؤسسات التعليمية .
- ✓ كان المصدر العلمي لمدرسة المنار وهو الذي أُوتي العلم الغزير، والنظر الثاقب ، والخبرة الواسعة بالناس والمجتمعات .
- ✓ ما ميّزه عن كوكبة المجدّدين أنّه أعاد للعقل مكانة في الإيمان بالعقيدة .
- ✓ اعتمد على إصلاح اللغة العربية والمحاكم الشرعية ، والتحوّل بالوقائع المصرية من ثبت للقوانين إلى مقالات نقدية إصلاحية .
- ✓ ترك لنا الشيخ محمد عبده ثروة زاخرة من الكتب القيّمة منها : كتابه (رسالة التوحيد) وكتاباته في العروة الوثقى التي أسّسها مع أستاذه جمال الدين الأفغاني في مجال الإصلاح .
- ✓ بذل جهودا مضنية في العمل التربوي ، واستمر فيه عقودا من الزمن .
- ✓ لم يخضع ولم يستجب لما يمليه الآخرون ، وهذا حريّ بنا أن نقتفي آثاره في الصبر والتحمل وطول النفس على الشدائد والمحن .
- ✓ استقى من الأزهر العلوم ثمّ أخذ ينشرها ، كما كرّس حياته للإسلام ينصره وللعربية يحميها من كيد الكائدين وتنكر المتنكرين .
- ✓ غاب الشيخ محمد عبده عن الساحة المصرية لفترة ما بسبب الظروف والملابسات التي أحاطت به .
- ✓ يعدّ الشيخ محمد عبده من أبرز الأعلام ، وكانت اجتهاداته وإفتاءاته أوضح معبر عن فكره الإصلاحي ، ولذلك لقب بالشيخ المجدد .

- ✓ إنّ الشيخ محمد عبده كما يقول المستشرق الفرنسي (جاك بيرك) : « يبقى منه روحه وطريقته في التفكير، ومآثره العقلانية وجرأته في قول الحق » .
- ✓ تميّزت حياة الشيخ محمد عبده بالجهاد والعلم والتضحية والنصيحة ، وقد حاولت رسم خطوطها الكبرى في هذا البحث ، وأشرت من خلال السرد التاريخي إلى عدد من عبرها وإلهاماتها ، مع إدراكي بعدم الإحاطة بكل نشاطاته ومواقفه في مسيرته الشخصية الطويلة التي وصلت إلى 57 سنة من العطاء .

وفي نهاية هذا البحث الأكاديمي لا بدّ من الإقرار بأنّ الشيخ محمد عبده كان يعمل عمل الجاد لا المتخاذل ، وأنّ رسالة بهذا الحجم لا يمكن أن تحيط بكلّ أعماله ومواقفه ، ويبقى هذا العمل في اعتقادي مجرّد محاولة لولوج عالم لا يزال فيما أحسب يستحقّ أكثر من وقفة وأكثر من قراءة ، ويبقى أن نشير إلى أمر ينبغي الالتفات إليه وهو أنّ الأستاذ الإمام محمد عبده يحظى بتقدير العالم الغربي أكثر من تقديرنا له ، ففي مكتبة جامعة السربون في باريس ركن كامل يضمّ كلّ ما ورد أو سرد للأستاذ الإمام أو ما نتج عنه من مؤلفات وكتابات ومساجلات وتعليقات وأطروحات علمية وبحثية ، وهم ينظرون إليه في أوروبا على أنّه عبقري لم يمهله عمره الإنساني بمزيد من السنين ، ولكنّ أفكاره بالقطع لم تمت ، ولذلك يحرصون على رصد ما تبقّى منه (فكرا ومنهجا) ، ويرون أنّ مدرسته العقلية لا تقلّ في العمق والتأثير عن مدارس الكبار أمثال سقراط وأرسطو.

الملاحق

الملحق (1)

صورة للشيخ محمد عبده

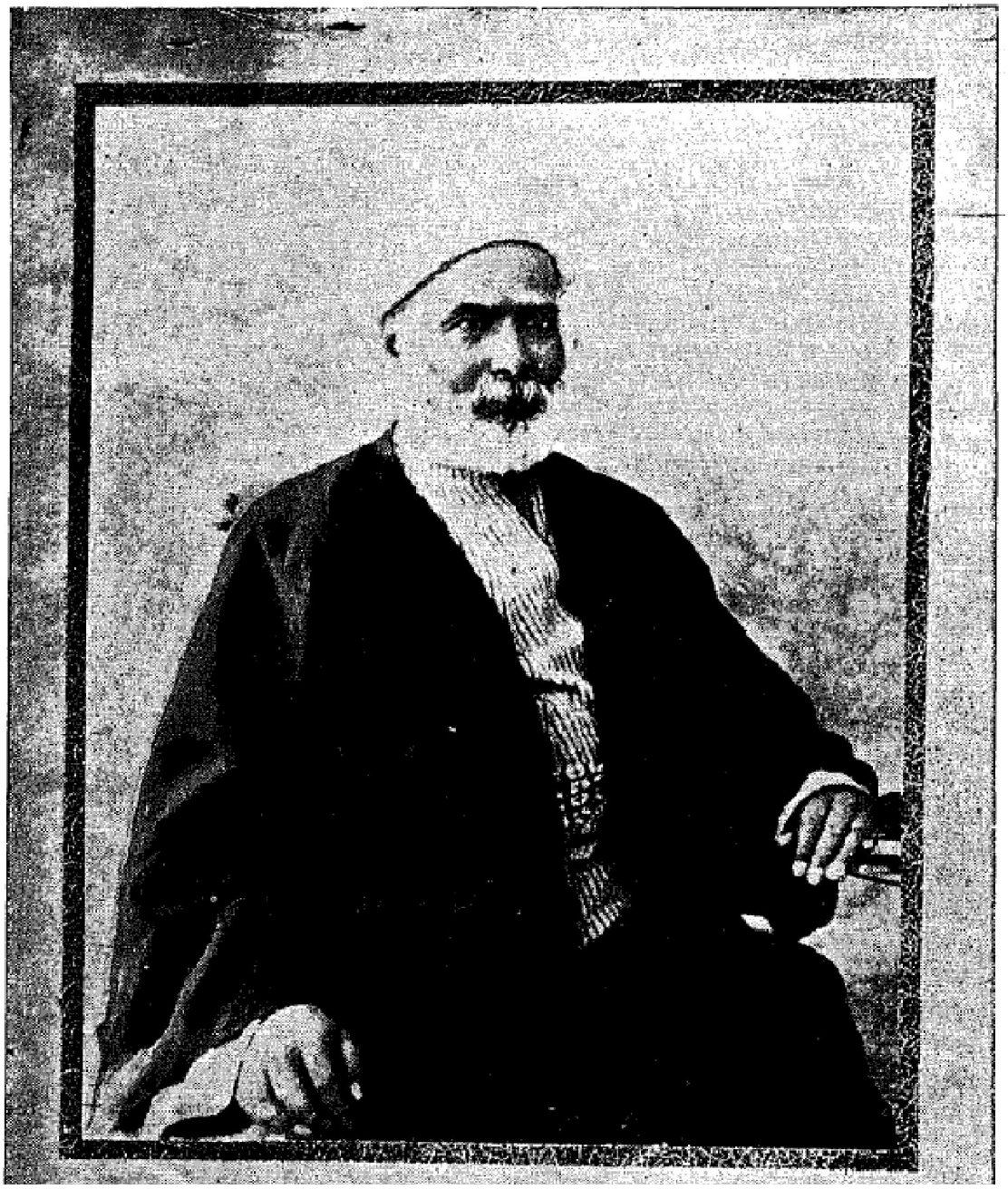

جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : مرجع سابق ، ص 7 .

الملحق (2)

صورة للشيخ محمد عبده في الجزائر سنة 1903 م

محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 289 .

الملحق (3)

نموذج لخط الشيخ محمد عبده

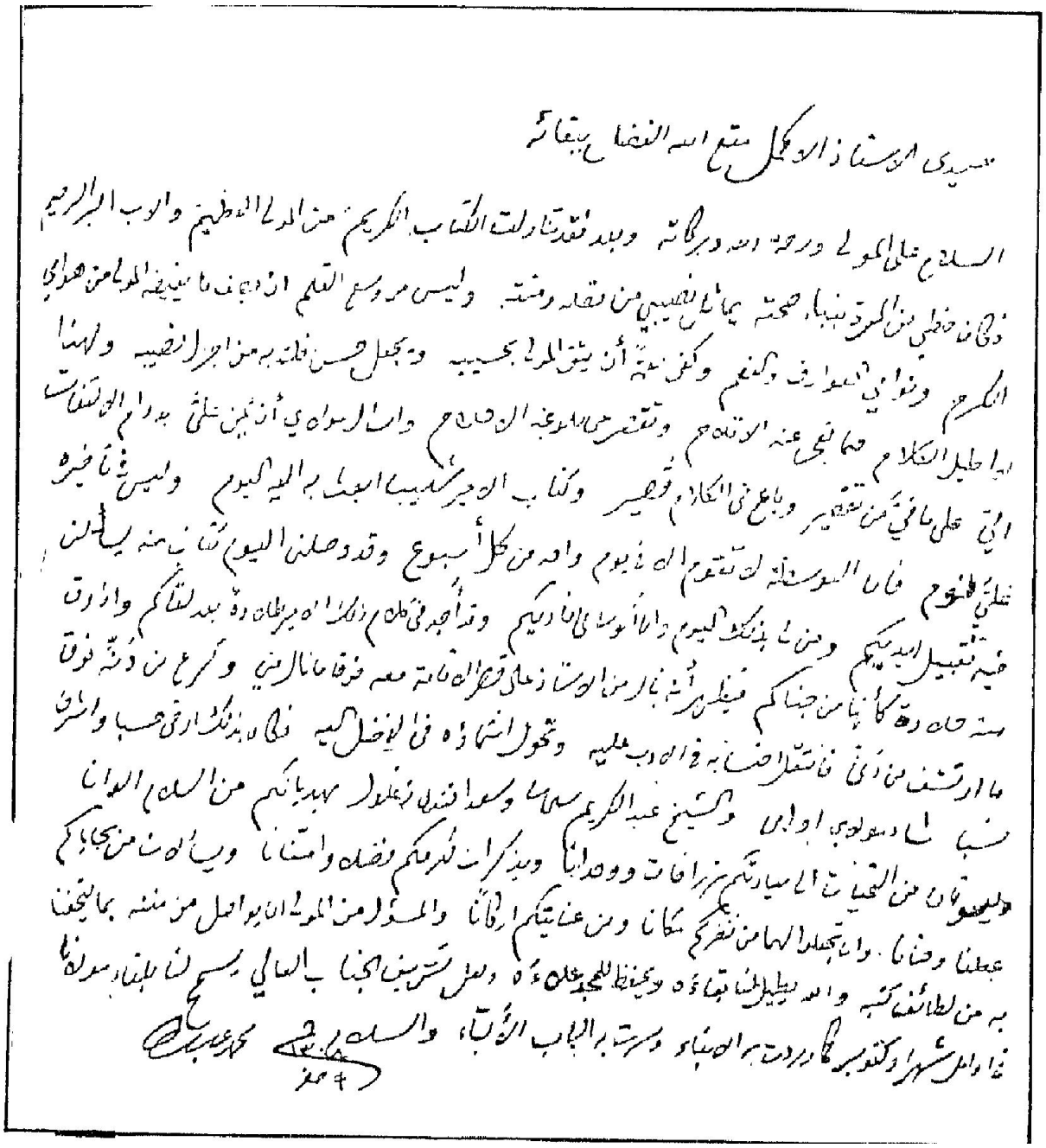

محمد عمارة : مرجع سابق ، ص 281 .

الملحق (4)

صورة لجمال الدين الأفغاني

جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده : مرجع سابق ، ص 9 .

الملحق (5)

صورة للخديوي إسماعيل

صبري محمد : مرجع سابق ، ص 177 .

قائمة المصادر
والمراجع

أولا المصادر:

1) القرآن الكريم .

2) الأفغاني جمال الدين ، محمد عبده : **العروة الوثقى والثورة التحريرية الكبرى** ، تحقيق: صلاح الدين البستاني ، (ط 3) ، دار العرب : القاهرة ، 1993 .

3) أمين أحمد : **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ، دار الكتاب العربي : بيروت .

4) بلنت ألفريد سكاون : **التاريخ السرّي لاحتلال إنجلترا مصر** ، راجعه ووافق عليه الشيخ محمد عبده ، مكتبة الآداب : القاهرة ، 2008 .

ثانيا المراجع :

1) العـربيـــــــة :

1) أبو الغار محمد: **إهدار استقلال الجامعات (دراسة)** ، كتاب إلكتروني ، جامعة القاهرة .

2) أبو خليل شوقي : **الإسلام وحركات التحرر العربية** ، (ط 1) ، دار الرشيد : دمشق ، 1976 .

3) أحمد ياغي إسماعيل ، محمود شاكر: **تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر**،(ج2)، دار المريخ للنشر: الرياض ، 1993 .

4) بن نبي مالك : **مشكلات الحضارة (وجهة العالم الإسلامي)** ، ترجمة : عبد الصبور شاهين ، دار الفكر المعاصر : بيروت ، 2002 .

5) البهي محمد : **الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي** ، مطبعة مخيمر: القاهرة ، 1957 .

6) بيومي سليمان زكرياء : **التيارات السياسية والإجتماعية بين المجددين والمحافظين** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب : القاهرة ، 1983 .

7) الجندي أنور: **العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي (الموسوعة الإسلامية العربية)** ، (المجلد 4) ، (ط 2) ، دار الكتاب اللبناني : بيروت ، 1983 .

8) حمزة صلاح الدين ، **الإمام محمد عبده وآراؤه النقدية والبلاغية** ، مطبعة عابدين : القاهرة ، 1984 .

9) حوراني ألبرت : **الفكر العربي في عصر النهضة** ، ترجمة : كريم عزقول ، مطبعة النهار للنشر: بيروت ، 1968 .

10) الخراشي سليمان بن صالح : **محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة (دراسة إسلامية سلفية لكتب ومقالات الدكتور محمد عمارة)** ، دار الجواب : 1993 .

11) خشبة سامي : **تحديث مصر(قراءة نقدية ومستقبلية)** ، كتاب إلكتروني .

12) الدسوقي عبد العزيز : **تطور النقد العربي الحديث في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1977 .

13) سليمان فواز عبد العزيز: **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، دار الفكر العربي ، كتاب إلكتروني .

14) شلش علي : **جمال الدين الأفغاني بين دارسيه** ، (ط 1) ، دار الشروق : القاهرة ، 1987 .

15) شوقي أبو خليل : **الإسلام وحركات التحرر العربية** ، (ط 1) ، دار الرشيد : دمشق ، 1976 .

16) الشيخ رأفت غنيمي : **التاريخ المعاصر للأمّة العربية الإسلامية (1416 هـ – 1996 م)** ، (ط 1) ، دار الثقافة : القاهرة ، 1991 .

17) الشيخ رأفت غنيمي : **تاريخ العرب الحديث** ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية : جامعة الزقازيق ، 1994 .

18) صالح محمد السيد محمد : **إعادة بناء علم التوحيد عند الأستاذ الإمام محمد عبده** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع : القاهرة ، 1998 .

19) صبري محمد : **تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلى اليوم** ، (ط 1) ، دار الكتب المصرية : القاهرة ، 1926 .

20) ضناوي حسين : **السيد رشيد رضا ونضاله السياسي** ، دار الإنشاء والصحافة للطباعة والنشر : طرابلس ، 1983 .

21) عباس أحمد رؤوف : **تاريخ جامعة القاهرة** ، دار النشر الإلكتروني ، كتاب إلكتروني.

22) عبد العظيم الزرقاني محمد : **مناهل العرفان في علوم القرآن** ، كتاب إلكتروني .

23) العبد عبد الحكيم : **الفكر السياسي الغربي والقومية المحافظة في الشرق** ، (ط 2) الإلكترونية مزيدة ومنقحة ، كتاب إلكتروني ، 2006 .

24) العقاد عباس محمود : **عبقري الإصلاح محمد عبده** ، دار النهضة : مصر، 1981 .

25) عمارة محمد : **الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده** ، (ج 1) ، (ط 1) ، دار الشروق : القاهرة ، 1993 .

26) عواطف عبد الرحمان : **مصر وفلسطين** ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب : الكويت ، 1978 .

27) فضلاء محمد الحسن : **من أعلام الإصلاح في الجزائر**، (ج 1) ، مطبعة دار هومة : الجزائر ، 2000 .

28) فوزي عبد المقصود محمد : **الفكر التربوي للأستاذ الإمام محمد عبده وآلياته في تطوير التعليم** ، كتاب إلكتروني ، جامعة الفيوم .

29) القرضاوي يوسف : **فقه الأولويات (دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة)** ، الدوحة ، 1994 ، على رابط المكتبة الإلكترونية المجانية : www . fiseb . com

30) محمد إبراهيم مفيدة : **عصر النهضة العربية بين الحقيقة والوهم** ، (ط 1) ، دار مجدلاوي للنشر: عمان ، 1999 .

31) محمد أحمد عبد العاطي : **الفكر السياسي للإمام محمد عبده** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1978 .

32) محمد مسعود جمال عبد الهادي ، علي لبن : **المجتمع الإسلامي المعاصر (المدخل)** ، (ج 1) ، دار الوفاء : المنصورة ، 1994 .

33) محمود السروجي محمد : **دراسات في تاريخ مصر والسودان الحديث والمعاصر**، الإسكندرية ، 1998 .

34) محمود شحاتة عبد الله : **منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم** ، مكتبة وهبة : القاهرة ، 1963 .

2) الأجنبيـــــــة :

1) Ali Shalash : **The Unknown Works Of Jamal Eldine Al-Afghani** , Riad El-Rayyes Books: London , 1987 , p 13 .
2) Kedawie , E : **Afghani and Abduh** , Lahore Pakistan , 1972 .
3) Mehjabeen Akhter : **Contribution of Shaik Mohammed Abduhu to Arabic Literature** : S.A.Printers Hyderabad (A . P) , India , 2004 .

ثالثا الجرائد والمجلات :

1) الإبراهيمي محمد البشير : **أنا** ، مجلة الثقافة ، عدد 87 ، ماي / جوان ، 1985 .

2) أمل الشريف : **محمد عبده روح العصر وأصالة الدين** ، مجلة نصف الدنيا ، على الرابط الإلكتروني :

http : // digital . ahram . org . eg / articles . aspx ? Serial = 287432 & eid = 112

3) حسن محمد شافعي : **هل كان محمد عبده علمانيا ؟** ، مجلة الديمقراطية ، 31 / 03 / 2013 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // democracy _ ahram . org . eg / News / 441

4) رشيد كهوس : **نشأة الفكر الإسلامي الحديث** ، مجلة المثقف ، العدد 2019 ، الجمعة 03 / 02 / 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . almothaqaf . com / index . php / araaa / 60093 . html

5) سليم إسحاق : **الجامعة الإسلامية** : مجلة الأقلام ، على الرابط الإلكتروني :

www . alaklaam . net / Fomber / momber , php .

6) عثمان أمين : **دروس للشباب في سيرة الأستاذ الإمام محمد عبده** ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، عدد 40 ، نوفمبر 1964 .

7) محمد دراجي : **ملامح المنهج الإجتماعي في التعامل مع القرآن الكريم عند مالك بن نبي** ، مجلة روى ، السنة الرابعة : العدد 20 ، 2003 .

8) محمد مراد بركات : **مالك بن نبي فيلسوف الحضارة وشاهد القرن** ، مجلة روى ، السنة الرابعة : العدد 20 ، 2003 .

9) محمود سلامة محمود الهايشة : **الإمام المصلح محمد عبده ، مائة عام على وفاته** ، مجلة الحوار المتمدن ، العدد 2219 ، 2005 .

10) حوار مع الدكتور سمير أبوزيد : **الثورات العربية ... وسؤال النهضة** ، (ج 1) ، جريدة الأهرام ، 05 / 04 / 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // nama - center . com / Dialogue Datials . aspx? id = 9 .

رابعا الرسائل والمذكرات :

1) أسعد لهلالي : **الشيخ محمد خير الدين وجهوده الإصلاحية في الجزائر(1902 – 1993 م)** ، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة ، 2006 .

2) أقيس خالد : **آثار العربي التبسي (دراسة فنية)** ، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة ، 2007 .

3) بوقرة زيلوخة : **سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر(جمعية العلماء المسلمين الجزائريين – نموذجا –)** ، رسالة ماجستير، جامعة باتنة ، 2009 .

4) زينة عزيري وآخرون : **الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (1843 – 1909 م)** ، رسالة ليسانس ، جامعة تبسة ، 2011 .

5) عمار لعباشي : **جمال الدين الأفغاني وتأثيره الفكري على العالم الإسلامي مصر– نموذجا** – ، رسالة ماستر، جامعة بسكرة ، 2013 .

6) نور الدين جباب محمد : **إشكالية الهوية والمغايرة في الفكر العربي المعاصر**، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، 2006 .

خامسا الندوات والهيئات :

1) **الإعجاز العلمي تأصيلا ومنهجا** : إعداد الأمانة العامة لهيئة الإعجاز ، الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة : مكة المكرمة .

2) **ندوة دولية حول مدرسة المنار ودورها في الإصلاح الإسلامي الحديث** ، القاهرة ، (فندق فلامنكو) ، 8 – 9 أكتوبر 2002 م .

سادسا المعاجم والموسوعات :

1) محمد الصياد : **الشيخ محمد عبده .. مولده وحياته وفكره (1849 – 1905)** ، الموسوعة التاريخية الرسمية .

2) رضا كحالة عمر : **معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)** ، (ج 1) ، (ط1) ، مؤسسة الرسالة: بيروت ، 1993 .

3) الزركلي خير الدين : **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)** ، (ج 2) ، (ط 15) ، دار العلم للملايين : بيروت ، 2002 .

4) الزركلي خير الدين : **الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)** ، (ج 6) ، (ط 15) ، دار العلم للملايين : بيروت ، 2002 .

5) الشويخات أحمد وآخرون : **الموسوعة العربية العالمية** : الرياض ، المملكة العربية السعودية ، 2004 .

6) **المنجد في الأعلام** ، معاجم دار الشرق ، (ط 20) ، دار الشرق : بيروت ، 1969 .

7) **محمد عبده (عالم دين)** ، موسوعة المعرفة الحرّة ، نوفمبر 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . Marefa . org / index . php /

سابعا المقالات :

1) أحمد لطفي السيد : **الإمام محمد عبده باعث الدولة المدنية (شخصية من مصر)** ، 20 نوفمبر 2013 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . Egypt History . Net / 2010 /

2) أمينة يوسف : **إمام الإصلاح** ، ديوان الأهرام ، على الرابط الإلكتروني :

http : // digital . ahram . org . eg / articles . aspx ? Serial = 295813 & eid = 3212

3) سمير حلبي : **محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث** ، على الرابط الإلكتروني :

http:/ www, Islam on Line Net / Arabic / History / 1422 / 07 / Article 29 , Shimi , Page 1 of 7 .

4) الشيخ شريف : **الإمام محمد عبده رائد الإصلاح في العصر الحديث** ، الثلاثاء 23 فيفري 2010 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . ahl almontada . com / ar / phpbb /

5) عبد الكريم بوصفصاف : **إسهامات محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس في قضايا عصرهما** ، الأحد 22 أفريل 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . benbadis . net / research - and - studies / benbadis / 302 - benbadis . html

6) صديق السيد : **نشأة الإمام محمد عبده وحياته العملية** : 19 سبتمبر 2010 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . im2all . com / Sona3 AlNaga7 Person . aspx ? parid = 151 & id = 210

7) عبد الرحمان بن خلدون : **الفكر الإصلاحي عند محمد عبده** ، 17 مارس 2012 ، على الرابط الإلكتروني :

http : // www . moheet . com / 2007 / 06 / 27

فهرس الملاحق

رقـــم الملحـــق	عنـــوان الملحـــق	رقـــم الصفحـــة
ملحق 01	صورة للشيخ محمد عبده	100
ملحق 02	صورة للشيخ محمد عبده في الجزائر سنة 1903 م	101
ملحق 03	نموذج لخط الشيخ محمد عبده	102
ملحق 04	صورة لجمال الدين الأفغاني	103
ملحق 05	صورة للخديوي إسماعيل	104

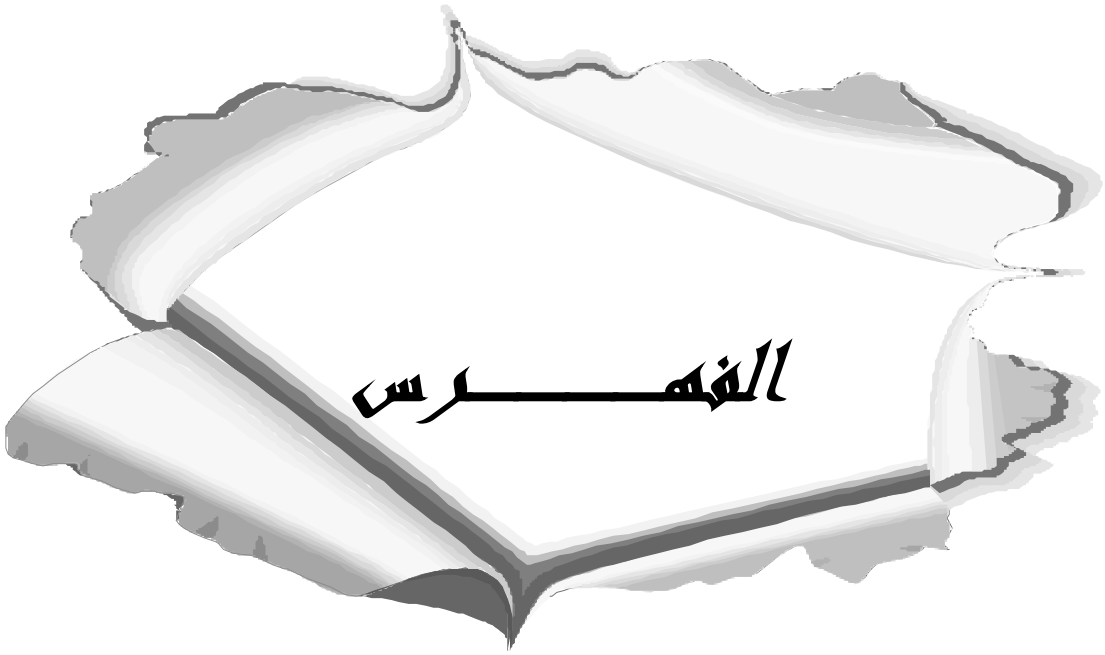
الفهـــــرس

إهـــــداء	
كلمـــة شكـــــر	
مقدمـــــــة	أ
الـفـصـــــل الأول : حيـــــاة محمـــد عبـــده	1
المبحث الأول : ميـــلاده ونشـــأتـــــه	2
المبحث الثاني : تـــعليـمـــــــه	4
1- طلـــب العلـــــم	4
2- عودتـــــه إلـــى طلـــب العلـــم ثـــانيـــة	5
3- لقـــاؤه بجمـــال الديـــن الأفغـــانـــي	8
المبحث الثالث : حيـــاته العمليـــة (أهـــمّ المناصـــب التـــي شغلـــها)	9
1- محمـــد عبـــده معلـــما	9
2- محمـــد عبـــده صحفيـــا	10
المبحث الرابع : رحـــلاتـــــه	12
1- ذهـــابـــه إلـــى ســـوريـا	12
2- ذهـــابـــه إلـــى بيـــروت	12
3- ذهـــابـــه إلـــى باريـــس وإنشاء جريدة العروة الوثقـــى	15
4- ذهـــابـــه إلـــى لنـــــدن	19
5- ذهـــابـــه إلـــى تـــونـــس	21
المبحث الخامس : العـــودة إلـــى مـــصـــــر	22
المبحث السادس : حياتـــه العمليـــة (أهمّ المناصب التي شغلـــها) بعد العـــودة	26
1- محمـــد عبـــده قاضـــيـا	26
2- محمـــد عبـــده مفـــتـــيا	27
المبحث السابع : وفـــاتـــــه ومـــؤلفـــاتـــــه	31
1- وفـــاتـــــه	31

2- مـؤلـفـاتـــــــه 33

الفـصـــل الثـــانـــــي : 35
مواقــف محمــد عبــده مــن قضـــايـا عصــره

1- موقفـــه مـــن التـــربيـة 37
2- موقفـــه مـــن التعليـــم 41
3- موقفـــه مـــن إصـــلاح اللغـــة 47
4- موقفـــه مـــن حريـــة المـــرأة ومـــن تعليمـــها 50
5- موقفـــه مـــن إصـــلاح الأســـرة 53
6- موقفـــه مـــن الممـــارســـات الدينـــية 55
7- موقفـــه مـــن تفسيـــر القـــرآن الكريـــم 64
8- موقفـــه مـــن أفكـــار أستـــاذه جمال الدين الأفغاني 71
9- موقفـــه مـــن السيـــاســـة 73
10- موقفـــه مـــن الثـــورة العـــرابيـــة 75
11- موقفـــه مـــن الاستبـــداد السيـــاســـي 81
12- موقفـــه مـــن الاحتـــلال البـــريطـــانـــي 82
13- موقفـــه مـــن الدولـــة العثمانيـــة 84
14- موقفـــه مـــن الأديـــان الأخـــرى 87
15- موقفـــه مـــن الأوضـــاع الإجتمـــاعيـــة 88
16- موقفـــه مـــن إنشـــاء الجـــامعـــة الإســـلاميـــة 91

الخـــــاتمـــة 94
المـــلاحـــــق 98
قائمـــة المصـــادر والمراجـــع 104
فهـــرس المـــلاحـــــق 113
فهـــرس المـــوضـــوعـــات 114